شعبة الدراسات الإسلامية

وحدة فقه السيرة النبوية

فقه السيرة النبوية

الموسم الجامعي: 1444- 1445هـ/ 2023 -2024م

إعداد الأستاذ رشيد ناصري

باسم الله الرحمان الرحيم

مقدمة تمهيدية حول أهمية دراسة السيرة النبوية

ومصادرها ومناهج التأليف فيها

١- تعريف فقه السيرة النبوية:

الفقه لغة:

الفقه لغة هو الفهم والعلم، قال ابن فارس:(فقه) الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. يقولون: لا يفقه ولا ينقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. وأفقهتك الشيء، إذا بينته لك (ابن فارس، في المقاييس)

الفقه: هو في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه (الجرجاني في التعريفات)

الفقه اصطلاحا:

وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهًا؛ لأنه لا يخفى عليه شيء (الجرجاني، التعريفات)

<u>السيرة لغة واصطلاحا:</u>

السيرة لغة:

تُطلق السيرة في اللغة على السنّة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، سواء أكانت حسنة أم سيئة، نقول: فلان سيرته حسنة، وفلان سيرته سيئة.

وهي تدور على أربع دلالات، وهي: الضرب من السير، والسيرة السنة، والسيرة: الطريقة، والسيرة: الهيأة.

ويضاف لها: الشيوع والانتشار بين الناس، قال ابن فارس: ومما اشتق منه- يعني الأصل – سن، السنة، وهي السيرة.

والسيرة: السنة، وقد سارت وسرتها، قال خالد بن زهير، وقال ابن بري: هو لخالد ابن أخت أبي ذؤيب، وكان أبو ذؤيب يرسله إلى محبوبته فأفسدها عليه فعاتبه أبو ذؤيب في أبيات كثيرة فقال له خالد:

فإن التي زعمت ومثلها --------- لفيك، ولكني أراك تجورها

تنقذتها من عند وهب بن جابر ------- وأنت صفي النفس منه وخيرها

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ------ فأول راض سنة من يسيرها

يقول أنت جعلتها سائرة في الناس.

وقال أبو عبيد: سار الشيء وسرته فعم، وأنشد بيت خالد بن زهير.

والسيرة الطريقة، يقال سار بهم سيرة حسنة، والسير: الهيئة، وفي التنزيل: سنعيدها سيرتها الأولى ، وسير بسيرة: حدث أحاديث الأولين، وسار الكلام والمثل في الناس: شاع، ويقال هذا مثل سائر(أنظر لسان العرب)

وفي الاصطلاح: هي ما نقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى وفاته.

فالسيرة تشتمل على وقائع ميلاده ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وسلمه، وأحداث حياته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.

وقد أطلق العلماء على الجزء الخاص بعلاقته مع أعدائه المشتمل على غزواته، وسراياه ومعاهداته، وعلى الأحكام والمبادئ الشرعية المنظمة لتلك العلاقات وآثارها اسم "المغازي" أو "السِّير".

تعريف فقه السيرة النبوية مركبا:

هو فهم السيرة النبوية واستنباط دلالاتها وعبرها واستخراج الأحكام منها، بما يحقق المقصد منها وهو تحقيق التخلق والتحقق بما يجوز منها، ومعرفة الرسول ﷺ وفهم دلالات تصرفاته النبوية المشرفة، وسبل إعمال السيرة في حل مشكلات المجتمع والإجابة على أسئلته.

٢- أهمية دراسة السيرة النبوية:

للسيرة النبوية أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية، لأنها جاءت لتبني تلك الأمة المنشودة الحاملة للرسالة التي ارتضاها الله تعالى خاتمة لرسالاته، والغاية من دراستها "أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته ﷺ، بعد أن فهمها مبادئ وقواعد وأحكاما مجردة في الذهن. أي إن دراسة السيرة النبوية، ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة، في مثلها الأعلى محمد ﷺ"[١]

ومن ثم، قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى :"في علم المغازي علم الدنيا والآخرة"[٢]، وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "وأصل الأصول العلم، وأنفع العلوم النظر في سير الرسول -ﷺ- وأصحابه، قال الله تعالى :(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[٣]

وقد كان يتعلم المسلمون السير كما يعلمونهم القرآن الكريم، قال زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين :كنا نعلم مغازي رسول الله -ﷺ- وسراياه، كما نعلم السورة من القرآن.

<u>ومن ثم، تتجلى أهمية دراسة السيرة النبوية من حيث التفصيل في:</u>

- أنها تعريف بأفضل الخلق، وتعريف بالأمة النموذج

- فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، للتأكد من أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحي من عنده وتوفيق من لدنه[٤]

- التأسي بالنبي – ﷺ-
ومن فوائد دراسة السيرة، أنها تساعدك على التأسي بالرسول الله – ﷺ لأنها تبين هذا النموذج البشري الكامل الذي جعله الله تعالى نموذجا للتأسي به، قال الله - تعالى - : "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً " [الأحزاب:٢١]، ولن يتحقق التأسي إلا بمعرفة سيرة الـمُتأسَى به.

- أنها التجسيد العملي للقرآن الكريم، قالت أمنا عائشة: «كان خلقه القرآن»، وقيل عنه "كان قرآنا يمشي بين الناس"، قال الدكتور الشاهد البوشيخي: «حاجةُ البشرية اليوم إلى نموذج ابن آدم المثاليّ الكامل، حاجةٌ قوية جدا اليوم، لأن صورة المسلم ما عادت موجودة على الوجه الصحيح في الكرة الأرضية، وصورة غير المسلم أشْكَالٌ من التشوه للآدمية، والبشريةُ تتخبَّط والمسؤولُ الأول هم مَنْ يُسَمَّوْن بالمسلمين، لأنهم حَجَبُوا عن الناس الحقَّ بأشكال متعددة من الحجْب سواء في الفهم السَّيِّئ أم في الممارسة السَّيئة، أم في التديُّن البالغ السوء، منعوا الناس من رؤية الحق في الصورة البهية الشهية.

والحاجة إلى السيرة النبوية الصحيحة الشاملة الكاملة حاجة قوية لتحل هذا الإشكال للبشرية اليوم، لتحلَّه عندنا نحن أولا، ثم لتحلَّه عند غيرنا ثانيا.»[٥]

---

[١]- فقه السيرة للبوطي
[٢]- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي
[٣]- صيد الخاطر
[٤]- فقه السيرة للبوطي
[٥]- أنظر جريدة المحجة

- حاجة الأمة إلى المنهاج الأمثل للخروج من الظلمات إلى النور، قال الشيخ البوشيخي: « ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور، نحن مازلنا لم نستطيع الإخْرَاج، ويوم نَخْرُج نَسْتطيع الإخْرَاجَ بإذن الله تعالى.

السيرة فيها السِّرُّ -وأعيد هذه الكلمة-، السيرة النبوية الصحيحة الكاملة الشاملة طبعا -فيها السِّرُّ»[٦]

- السيرة تساعد على فهم القرآن الكريم:

قال البوطي: "أن يجد الإنسان في دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده، إذ إن كثيرا من آيات القرآن إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ ومواقفه منها"[٧]

فمن فوائد دراسة السيرة النبوية؛ أنها تساعد على فهم كتاب الله تعالى، الذي نزل ليجيب عن أحداث معينة، أو تصويب مواقف محددة، كما وقع في مواقع بدر وأُحد والأحزاب وتبوك، وكما وقع في صلح الحديبية، وحادث الإفك وغيرها من الوقائع والأحداث. فقراءة هذه المواقف من السيرة تساعد على فهم ملابسات تلك الأحداث وخلفياتها. مما يعصم من الزلل في فهم آيات الكتاب العزيز، ومن ثم فقهم التنزيل ومقاصده.

- السيرة تساعد على فهم السُّنّة :

فأحيانًا تَرِدُ مواقفُ السيرةِ في كُتب الحديث بشكل مقتضب جدًا، وأحيانًا يذكر أصحابُ المتون موقفًا أو موقفين في غزوة كاملة، الأمر الذي يدفع القارىء إلى مطالعة السيرة النبوية للوقوف على ملابسات الحدث وخلفياته وزمنه وممكانه، مما يعينه على فهم الحديث، واستيعاب بعض الأحاديث التي قد لا يرضى عنها العقل. نعوذ بالله من الزيغ والارتياب، كحديث :" ورب الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حت ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"

- فهم العقيدة الإسلامية:

ومن فوائد السيرة؛ أنها تساعد على فهم العقيدة الإسلامية؛ بطريقة عملية من خلال السلوك العملي للنبي – ﷺ – عبر مسيرته الحافلة بمواقف الإيمان والثبات في مواجهة المحن والإيذاء والمساومات.

- مدخل للعلوم الشرعية:

ومن فوائدها، أنها تهيء طلاب العلم، وتجعل لهم سُلامًا للعلوم الشرعية الأخرى،" قال الدكتور محمد أبو شهبه رحمه الله تعالى :إن خير ما يتدارسه المسلمون، ولا سيما الناشئون والمتعلمون، ويعنى به الباحثون والكتاب دراسة السيرة المحمدية، إذ هي خير معلم ومثقف، ومهذب، ومؤدب، وأصل مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات، الذين قلما تجود الدنيا بأمثالهم، ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم، وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة، وإمامة وقيادة، وعدل، ورحمة، وبطولة وكفاح، وجهاد واستشهاد في سبيل العقيدة والشريعة، والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة. معرفة تاريخ الأمة الذي ارتبط بنزول الوحي[٨].

وفيها التجسيد العملي لعلم لعقيدة، وفقه تنزيل الأحكام الشرعية، ومعرفة أسباب النزول وأسباب الورود، والمتقدم من المتأخر من حديث رسول الله ﷺ في نقد الحديث، وتعرف علوم القرآن من مكي ومدني، ومعرفة أصول الفقه من خاص وعام...

---

[٦]- المرجع السابق
[٧]- فقه السيرة
[٨]- اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، لموسى بن راشد الحازمي

- **حفظ تاريخ الأمة ومعرفة أطواره ومراحله**، مما يمكن من معرفة أسباب الهزيمة ومعرفة كيفية النهوض، لأن هذه الأمة ولدت مع تكليف الرسول ﷺ ببلاغ الرسالة، ومن ثم فهي ابتدأت مع نزول الوحي، والوحي تجسد في رسول الله ﷺ بيانا وتعليما.

- ويحفظ ذلك كله بأن السنة جاءت مبينة لصفة الرسول البشر، وليس كما يدعي الغرب وخصوصا المستشرقين منهم، أنه ﷺ من العباقرة والأذكياء، ليبعدوا عنه صفة النبوة، أو على نقيض ذلك كما نزع البعض الآخر من الغلاة الذين أزالوا عنه ﷺ صفة البشرية فأنزلوه منزلة الملائكة، وإنما الحق الذي تبينه السير، أنه عبد الله ورسوله، قال تعالى: قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

٣- مصادر السيرة النبوية:

تتنوع مصادر السيرة النبوي إلى مصادر أصلية وأخرى تبعية،" فمن المصادر الأصلية في دراسة السيرة النبوية القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الدلائل والشمائل وكتب السيرة المختصة والتواريخ العامة، أما المصادر التكميلية فهي لا تختص بالسيرة أو التاريخ، بل تتناول موضوعات أخرى لكنها تفيد في حقل دراسة السيرة، مثل كتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الرجال والتراجم وكتب الجغرافية التاريخية وكتب الفقه وكتب الأنساب ومعاجم اللغة ... إلخ"[٩]، ونذكر منها:

- **القرآن الكريم:**

يعد القرآن الكريم أعظم مصادر السيرة النبوية على الإطلاق، لتميزه عن غيره من المصادر بثبوته بأعلى مراتب الصحة وهو التواتر، " قد ضم القرآن الكريم جزءا كبيرا من أخبارها الصحيحة التي لا يتطرق إليها الشك أو الظن، وبهذا فقد وفر القرآن الكريم قدرا عظيما من الأخبار الصحيحة للسيرة وصاحبها عليه الصلاة والسلام"[١٠]

وقد أرخ القرآن الكريم لسيرة رسول الله ﷺ في كل مراحلها من حيث الإجمال أحيانا ومن حيث التفصيل أحيانا أخرى، قال منير الغضبان: "فكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو المصدر الأول والأهم والأوثق في هذا الوجود للسيرة، وما نزل من القرآن قبل الهجرة يحمل بين ثناياه صورا واضحة عن السيرة النبوية. عن طفولة النبي - ﷺ -، وعن بعثته، وعن جهاده للمشركين، وعن الحوار المستمر بين الرسول - ﷺ - وخصومه، ودعوتهم لدين الله تعالى، ومواقفهم من هذه الدعوة، ويعرض الجوانب النفسية والفكرية، عندهم، ويعرض صورا من ثبات المؤمنين، وتضحياتهم وإخلاصهم وجهادهم في سبيل الله بالكلمة الطيبة، وتحمل الأذى في الله ورسوله. وما نزل من القرآن بعد الهجرة كذلك يعرض صورا واضحة من السيرة."[١١]

- **نماذج من ذلك:**

- نموذج في وصف رسول الله ﷺ، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) [الأحزاب: ٥٣]

وقال تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليمٌ)[التوبة ٦١]

وقال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)[التوبة ١٢٨]...

- نموذج من داخل بيت النبوة، قال تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (الأحزاب: ٣٧)

---

[٩]- السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري

[١٠]- كتاب مصادر تلقي السيرة النبوية لمحمد أنور البكري

[١١]- فقه السيرة النبوية

- **نموذج من بعض الخلافات الأسرية في بيت النبوة**، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا(5)) (التحريم من ١إلى ٥)

- **نموذج تأريخ القرآن لغزواته** ﷺ، غزوة بدر، يبين تعالى ما قبل المعركة، قال تعالى :(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ *يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ *وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ *لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (الأنفال: ٥-٨)

وقال تعالى يبين المعركة وعدد الفئتين المتقاتلتين: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ *بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ *وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران: ١٢٣-١٢٦)

ثم بين تعالى حال المؤمنين، فقال:(إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ *إِذْ يُرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) (الأنفال: ٤١-٤٤)

ثم بين تعالى حال الكفار، قال تعالى: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ *وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ *إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم) (الأنفال: ٤٧-٤٩)

ثم تحدث القرآن الكريم عن أجواء المعركة، قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ *وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ *إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) (الأنفال: ٩-١٤)

وقال تعالى في ختام المعركة وتوزيع الغنائم: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير)(الأنفال،٤١)

وهناك تفصيلات أخرى للمعركة، فليرجع إليها في سورة الأحزاب وغيرها، إلا أنه " ينبغي التفطن إلى أن الإفادة التامة من القرآن الكريم لا تتم إلا بالرجوع إلى كتب التفسير الموثقة، وخاصة التفسير بالمأثور مثل تفسير الطبري وتفسير ابن كثير، وينبغي أيضا الرجوع إلى كتب الناسخ والمنسوخ، وكتب أسباب النزول وغيرها مما يتصل بالقرآن وعلومه"[١٢]

- **السنة النبوية:**

تعتبر السنة النبوية الصحيحة من أهم مصادر السيرة النبوية بعد القرآن الكريم، فهي " توضح العقائد والآداب الإسلامية، وتبين أحاديث الأحكام النواحي العبادية والتشريعية من صوم وصلاة وحج وزكاة ونظم سياسية ومالية وإدارية، ولا يمكن تكامل تصور الإسلام إلا بمعرفة الحديث، ولكل هذه الجوانب التي تناولتها الأحاديث صلة بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في عصر النبي ﷺ، وما تلاه، لأن المسلمين التزموا - بتطبيق "السنة "في حياتهم إلى حد كبير"[١٣]

وقد وردت السيرة النبوية في كتب الحديث متفرقة، ونجدها قد خصص بحيز تحت مسمى "المغازي" و" الشمائل"، كما في الموطإ والبخاري ومسلم وغيرهما.

إلا أنه " ولا شك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحه لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سندا ومتنا، وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية"[١٤] " ولكن ينبغي التفطن إلى أن كتب الحديث - بحكم عدم تخصصها - لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة بل تقتصر على بعض ذلك، مما ينضوي تحت شرط المؤلف أو وقعت له روايته، ومن ثم فإنها لا تعطي صورة كاملة لما حدث وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير"[١٥]

ومن ثم، يشترط متابعة الصحيح من الأحاديث، وترك الضعيف والموضوع منها، لأننا نجد أن بعض الأحداث التي تنسب للسيرة النبوية لا تثبت، كما نحتاج الرجوع إلى كتب التاريخ، لأن كتب السنة" لا تعطي صورة كاملة لما حدث وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى لبس كبير"[١٦]

---

[١٢]- السيرة النبوية الصحيحة، للعمري
[١٣]- المرجع السابق
[١٤]- المرجع السابق
[١٥]- المرجع السابق
[١٦]- المرجع السابق

- **كتب السير والتراجم:**

"وهي المصدر المباشر الذي تستقى منه أحداث السيرة عادة. والسيرة النبوية لابن هشام تعتبر من الناحية العلمية أوفى كتاب يتداوله الناس، وأقدم كتاب بين أيدينا كذلك"[١٧]، " وفي مجال التراجم فالطبقات الكبرى لابن سعد، والإصابة في تاريخ الصحابة هما الكتابان العمليان اللذان يرفدان السيرة النبوية في توضيح بعض الجوانب الغامضة فيها"[١٨]

- **كتب الدلائل والشمائل :**

وهي " تتناول جانبا من حياة الرسول - ﷺ -، ولكنها تعرض السيرة بشكل غير مباشر وبصورة مختصرة في كثير من الأحيان، ومن أشهرها :دلائل النبوة للبيهقي، والشمائل للترمذي، والخصائص الكبرى للسيوطي"[١٩]

- **كتب التاريخ:**

"وهي أكثر من أن تحصى، ومعظم كتب التاريخ الإسلامي تفرد للسيرة النبوية جزءا أو أكثر تعرضها بتسلسلها التاريخي، وإن كانت السيرة النبوية لابن كثير قد أفردت في طبعة مستقلة حققها الدكتور مصطفى عبد الواحد حفظه الله، وتتميز السيرة عند ابن جرير الطبري رحمه الله بوجود السند المتصل فيها، لكن هذه الأسانيد لم تنل حظها من العناية والتوثيق شأنها شأن كتب التاريخ الإسلامي كل"[٢٠].

ومن المصادر الأخرى التي أرخت للسيرة النبوية، رغم أنها لم تتناولها بشكل أصلي، الشعر العربي، وكتب الادب والتفاسير...

---

[١٧]- فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان
[١٨]- المرجع السابق
[١٩]- المرجع السابق
[٢٠]- المرجع السابق

مناهج التأليف في السيرة النبوية:

رغم أهمية السيرة النبوية، ورغم اهتمام كثير من المؤلفين والمؤرخين بها، إلا أن مناهجهم وطرقهم في كتابتها قد اختلفت، حيث لم يلتزم أصحابها منهجاً واحداً يسيرون عليه، إنما تعددت أساليبهم ومناهجهم، بحسب تخصص ومجال كل مؤلف منهم.

ومنها:

✓ **منهج المؤرخين:**

يهتم هذا المنهج في التأليف بسرد للأحداث سردا تاريخيا وترتيبها ترتيبا موضوعيا دون تمحيص ودون دراسة دلالات الأحداث، بل الاكتفاء بمجرد سردها. كـ: عروة بن الزبير (ت٩٤هـ) وأبان بن عثمان (ت١٠٥هـ) ووهب بن منبه (ت١١٠هـ) ومحمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت١٣٠هـ) ثم موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق حيث كتب كتابه في السيرة، التي رواها وهذبها ابن هشام، وأصبحت تعرف بسيرة ابن هشام. وكذلك كتب الواقدي كتابه في السيرة المعروف (بمغازي الواقدي). وهناك من المؤلفين الذين كتبوا في هذا الفن، مما لا يتسع المجال لحصرهم وذكرهم.

وقد اعتمد كثير من المؤرخين على المنهج التاريخي في كتابة السيرة، وذلك بأن يكتب السيرة بأحداثها وترتيبها حسب وقوعها وتسلسلها الزمني، فيذكر أحداث السنة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة وهكذا. ومن الذين نهجوا هذا النهج الإمام الطبري، وابن الأثير وغيرهما.

✓ **منهج المحدثين:**

يتميز بـ :

- الاهتمام بالإسناد التزاما بقواعد الرواية وتمييز الأسانيد، فاشترطوا في الراوي شروطا جمعت في:

- العدالة والضبط.

- اتصال السند.

- السلامة من العلل القادحة.

- عدم مخالفة الثقات.

- وقد اعتمد المحدثون على تقطيع الأحاديث والروايات ونقدها دون اهتمام بدراسة المتن، و"التزموا بقواعد الرواية وتمييز الأسانيد عن بعضها، وربما قطعوا الرواية الواحدة فخرجوا بعضها في مكان وبقيتها في مكان آخر لموضوعات (تراجم) مؤلفاتهم، كما يظهر ذلك جليا في قسم المغازي الذي كتبه الإمام البخاري ضمن صحيحه، ويظهر بصورة أخف في صحيح الإمام مسلم بسبب عنايته الخاصة بسرد المتون الطويلة وتحرير ألفاظها. لأنه أقل عناية من البخاري بتقطيع الرواية حسب تراجم كتابه"[٢١]

✓ **المنهج التحليلي:**

ومؤلفي السيرة من اعتمد المنهج التحليلي، فكان لا يكتفي بسرد أحداث السيرة أو ترتيبها زمنياً، وإنما يغوص في نصوص الأحداث، يتأملها ويستلهم منها العبر والعظات والدروس، ويربطها بالواقع، ويوازن

---

[٢١]- السيرة النبوية الصحيحة للعمري

ويقارن ليصلح من حياة الناس بما يتوافق مع سيرة المصطفى ﷺ، استدلالاً بما يقال: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوله)، وممن اعتمد هذا المنهج ابن قيم الجوزية في كتابه «زاد المعاد»[٢٢]

✓ **منهج الدراسة الموضوعية:**

وقد اعتمد البعض الآخر من العلماء على الدراسة الموضوعية للسيرة النبوية، وذلك بأن يجمع المعلومات والأحداث المتعلقة بموضوع واحد، مما يمكن من إعطاء فكرة متكاملة شاملة عن هذا الموضوع، كمن يأخذ مثلاً الجانب السياسي في حياة المصطفى ﷺ، أو الجانب التربوي، أو الجانب الأسري، أو الجانب الفقهي...، ومن أمثلة هذا النوع: كتاب "الشمائل" للإمام الترمذي، وكتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، وكتاب "الخصائص الكبرى" للسيوطي، وكتاب "فقه السيرة" للشيخ الغزالي، ومثله للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي. وقد صُنفت كتب كثيرة، قديماً وحديثاً خاصة فيما يتعلق بالغزوات وتفصيلاتها. ومنهم من اعتمد النظم الشعري، بأن ينظم أحداث السيرة في قصيدة، كما فعل الإمام البصيري في نظم (البُردة).

✓ خلاصات:

- رغم تنوع هذه المناهج إلا أنها لم تؤد ما هو مطلوب منها، ألا وهو بناء ذلك المجتمع الإسلامي الذي يفهم رسالات الله ويقيم سنة رسول الله ﷺ في واقعه، إما لامتلائها بالغث والسمين، ولانفصالها عن الفقه والأصول وغيرها من العلوم الإسلامية. مما أتاح للمستشرقين الطعن في السيرة ومحاولة النيل منها من خلال التشكيك في ثبوتها، ثم البحث عن التناقض في متنا، مما يحتم:
- العمل بهذه القواعد والمناهج جميعا، غربلة السنة من الضعيف والموضوع، والحفاظ على الرواية بمنهج المحدثين، واعتبار ذلك مقدمة يعقبها الأهم وهو دراسة المتن وإبعاد الشاذ منه، وذلك من خلال الدراسة الموضوعية لنصوص السيرة بمنهج علماء الأصول والفقهاء، ترجيحا ومقارنة وتحليلا، ثم ربط السنة بالقرآن، كل ذلك من خلال استحضار واقع الناس.

---

[٢٢]- أنظر مناهج كتابة السيرة بين المحدثين والمؤرخين، لعبد الله عطا عمر

مصادر السيرة النبوية:

- **مصادر قديمة:**

✓ الشمائل المحمدية للترمذي صاحب السنن، وهو مطبوع، وقد اختصره محمد ناصر الدين الألباني، وجرده من الأحاديث الضعيفة.
✓ الأنوار في شمائل النبي المختار، للبغوي صاحب كتاب: شرح السنة.
✓ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض.
✓ الشمائل لابن كثير، ضمن كتابه البداية والنهاية.
✓ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني.
✓ دلائل النبوة للبيهقي، وهو من أوسعها وأشملها. وقد لخصه الإمام الذهبي في أول تاريخه الكبير.
✓ دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني.
✓ نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ، لابن دحية الكلبي.
✓ غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، لابن الملقن.
✓ بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ، للعز بن عبد السلام.
✓ الخصائص الكبرى، للسيوطي.

- **مصادر حديثة:**

✓ السيرة النبوية دروس وعبر للشيخ مصطفى السباعي.
✓ *السيرة النبوية الصحيحة/ محاولة لتطبيق قواعد المحدثين. للدكتور أكرم ضياء العمري.*
✓ المجتمع المدني في عهد النبوة(خصائصه وتنظيماته الأولى)
✓ المجتمع المدني في عهد النبوة (الجهاد ضد المشركين)
✓ السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور علي الصلابي.
✓ *فقه السيرة، لسعيد رمضان البوطي.*
✓ فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي
✓ منهج المحدثين ودوره في تجديد عرض وكتابة السيرة النبوية، أمثلة ونماذج معاصرة، د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي.
✓ حاجة الأمة إلى السيرة السنة، للشيخ الشاهد البوشيخي
✓ فقه السيرة للمفضل الفلواتي

بسم الله الرحمان الرحيم

خصائص السيرة النبوية

تمهيد:

تعددت سير الناس في العالم ممن يقدسهم أقوامهم ويقتدون بهم، لكن تلك السير لو أردنا أن نجعلها قدوة كاملة للإنسان فردا وجماعة ليقتدي بها لما وجدنا ذلك المطلب المنشود، إذ قد نجد أحدها متميز في مجال لكن تغيب عنه لمجالات الأخرى، بل لو نظرنا في سيرة الأنبياء أنفسهم كل منهم نجد عنده استيعاب ما كلف به من الرسالة، فلو نظرنا في موسى عليه السلام وطلبنا في سيرته الزوج النموذج أو التاجر لما وجدنا، ولو بحثنا في سيرة عيسى عليه السلام عن نموذج بناء الأسرة أو القائد العسكري أو السياسي النموذج لنقتدي به لما وجدنا...، كما أننا لو نظرنا في ما نقل من سيرهما من دن أتباعهما لوجدنا اغلبها لا يستند إلى سند صحيح يعتد به، بل أغلبها روايات مشكوك بها، ومن السير الأخرى ما حملت في طياتها من الغرائب والعجائب ما يقدح في صحتها كسيرة كونفوشيوس أو غيره.

ومن ثم، فإن تلك السير غير قادرة على استيعاب كل مجالات الأسوة والنموذج الذي يحتاجه الناس ليقتدوا بأصحابها، فمن حقق التميز في جانب وقع عند النقص في جوانب أخرى.

وإن أهم الخصائص التي تحتاجها السير لتكون صالحة للاقتداء التام بها في كل مجالات الحياة هي:

- **صحتها وثبوتها عن صاحبها ثبوتا يقينيا**، إذ أصل هذه الخصائص صحتها ونقلها عن أصحابها من خلال الثقة المعروف، مما يجعلها ثابتة، بإعمال منهج المحدثين في اتباع سندها، إذ نقل مجهول الحال غير مقبول، وأغلب السير الواردة إلينا في التاريخ الماضي تواريخ العالم فإنها كثيرا ما تعتمد على روايات مفردة أو مؤرخين مجهولين، بالإضافة إلى ذلك فهي مليئة بالفجوات"[٢٣]، وكثير من من مضوا من الأنبياء على جلالة وعظمة قدرهم عند الله، مروية عن مجاهيل الحال، كما أنها تفتقد إلى تسلسل إسناد نقلتها.

ومثال ذلك: ما ورد عن مصدر معرفة المسيح عليه السلام، إذ التحقيق التاريخي لنسب كل إنجيل لصاحبه لم يحدث أبدا؛ خاصة وأنه لا يوجد أي إشارة من بعيد أو من قريب في المتون الإنجيلية إلى كاتبيها، وهذا ما دعا بعض الدراسات التاريخية الحديثة أن تنسب تلك الأناجيل إلى مجهول. (الموسوعة الحرة)، " وأسوق لكم نصا من رجل نصراني يعترف بهذه الحقيقة، ويقول :إنه لم يكن يعرف إلا حوالي خمسين يوما من حياة المسيح عليه السلام، فأين بقية

---

[٢٣]- السيرة النبوية الصحيحة، للعمري

أيام المسيح، بل يعترف صراحة حينما يقول، وهو القس الدكتور كارلوس أندرسون يقول في مقال نشره في دائرة المعارف البريطانية :ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح بكل صراحة، فإنه لا وجود للمادة والمعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الغرض، والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوما."[٢٤]

- **الوضوح ودقة تواريخها وأحداثها**، فلا بد لأية سيرة من الدقة في تفاصيلها وتواريخها وأحداثها

- **الواقعية والقابلية للتطبيق**، والتعيير بمعايير الواقع في ما يصلح لذلك.

العملية والواقعية، أي أن تكون الدعوة إلى المبادئ والفضائل والواجبات بعمل الداعي وأخلاقه، وأن يكون كل ما دعا إليه بلسانه قد حققه بسيرته، وعمل به في حياته الشخصية والعائلية والاجتماعية، فأصبحت أعماله مثلا عليا للناس، ومن ثم تكون الأسوة!"[٢٥] ألا تخرج الشخص عن بشريته فتدخله في الخرافات والأساطير، لأن السيرة أذا كانت خارقة للعادة يستحيل اتخاذها قدوة ونموذجا يقتدى بها.

- **الشمول**: بحث لا تكون السيرة قابلة للتطبيق وبناء المجتمع في كل مناحي حياته الفردية والجماعية ما لم تكن مستوعبة لكل قضايا هذا الإنسان ومجالات وجوده الفردية والجماعية.

وهذا ما نجده مفقودا في نماذج كثيرة تقدم للناس، نذكر منها:

نموذج من سيرة عيسى عليه السلام عند أتباعه

في المسيحية يقول الكتاب المقدس بكل وضوح أن يسوع هو ابن الله (متى ٣: ١٧): "وصوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، وأنه هو والله واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). ولا يمكن أن يعتبر الإنسان نفسه مسيحياً بحق دون إعلان الإيمان بأن يسوع هو الله.

قال يسوع أنه هو الطريق وليس مجرد مرشد للطريق ويؤكد يوحنا ١٤: ٦ هذا: "أنا هو الطريق والحق والحياة. لا أحد يأتي إلى الآب إلا بي".

ومصادر النصارى لا تكاد تعرف، إذ هذه الأربعة أناجيل ضعيفة جدًا في المصداقية؛ لأن إنجيل متى أصله مفقود، وما لدينا الآن ترجمان لا يمكن التأكد من مطابقتها لأصلها المفقود، يوحنا لا يعرف، ومن دونوا سيرته لم تربطهم به ولا برسالته أي صلة.

وهذه الأناجيل الأربعة كتبها أشخاص لم يعرفوا المسيح، ولم يسمعوا منه، ولم يكونوا من تلاميذه. كما أن سيرة المسيح عليه السلام فيها تزداد إبهاما كلما درست نصوصها، هل هو نبي بشر، أم هو إله مقدس...

نموذج من سيرة أئمة الشيعة

فقد أورد الكليني، وهو أحد أوثق علمائهم، في كتابه الكافي، الذي هو بمثابة صحيح البخاري عندنا، الذي خصص فيه أبوابا في علمهم الغيب، ذكر منها: باب أن الأئمة عليهم

---

[٢٤]- دروس الشيخ سلمان العودة، المكتبة الشاملة

[٢٥]- كتاب الجامع الصحيح للسيرة النبوية

السلام يعلمون ما كان وما يكون، وأنهم لا يخفى عليهم شيء، وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، وباب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام، وتحت كل باب من هذه الأبواب عشرات الأحاديث، التي يشيب لهولها الولدان.

ومنها ما ينسبونه إلى علي رضي الله عنه أنه يقول فيها:

"ولقد أعطيت خصالا ما سبقني إليها أحد قبلي: علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله وأؤدي عنه، كل ذلك من الله مكنني فيه بعلمه".

ذكر محمد بن يعقوب الكليني في "أصول الكافي" عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما جاء به علي عليه السلام أخذ به وما نهى عنه انتهي عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد ﷺ ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله.....وكذلك يجري لأئمة الهدى واحدا بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها-حجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرا ما يقول أنا قسيم الله بين الجنة والنار أنا الفاروق الأكبر أنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد ولقد حملت على مثل حمولته وهي حمولة الرب.(أصول الكافي كتاب الحجة ص١١٧).

<u>ومن خلال النظر إلى ما مضى نرى بجلاء:</u>

- ضعف الرواية من حيث السند، إذ لم يثبت شيء مما ذكر من مصادر معتبرة عند علمائنا
- مناقضة المروي للأصول الكبرى للعقيدة الإسلامية
- التباس نموذج الإمام علي رضي الله عنه في تصور الشيعة، إذ رفع إلى مقام كاد أن يصبح فيه إلها؟؟؟؟

⇐ من خلال النظر في السيرة المحرفة لمن مضوا وغيرهم، نتوصل إلى الخلاصات التالية:

- استحالة إمكان التأسي بهما نظرا لخروجهما عن طبع البشر إلى طبيعة أعلى

كمال خصائص سيرة المصطفى ﷺ:

تميزت سيرة النبي ﷺ بحيازتها كل تلك الخصائص التي تجعلها صالحة للتطبيق والتأسي

- الربانية:

فهذه السيرة إنما هي ربانية، والمقصود بذلك أن الله تعالى خلق الرسول ﷺ وجعل أخلاقه جبلية وليس كسبية، قال الشيخ القاضي عياض: "كل أخلاق الناس كسبية إلا أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم"، وقد صنع الرسول على عين الله تعالى.

كما أن أخلاق الرسول ﷺ سيرة نبي أوحى الله تعالى إليه بالرسالة، وجعله نموذجا لها، فأمر العباد باتباعه واقتفاء أثره، قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)، فعرف من الآية وجوب التأسي بالرسول ﷺ، وتلك دعوة واضحة صريحة للمعرفة، وسبب ذلك أن الرسول ﷺ يمثل أعلى الخلق وتمامه، قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)

وأن الاتباع إذن رباني من حيث مصدر الأمر بالاتباع، ومن حيث القصد والغاية، فليس ذلك من اختيار الرسول ﷺ، ولذلك ارتبطت بالقرآن الكريم، فحفظت بحفظه.

الصحة والثبوت:

وعلى عكس غيرها، تميزت سيرة المصطفى بكمال الخصائص التي فُقدت في غيرها ولم تتحقق إلا للمصطفى عليه السلام، وهي:

فسيرة رسول الله ﷺ أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل[٢٦]، إذ وصلت إلينا أحداثها الثابتة من أصح الطرق، وأقواها ثبوتاً، من خلال:

أ- القرآن الكريم، الذي يشكل أعلى مراتب الثبوت، إذ ثبت بالتواتر الذي يفيد القطع لا الظن، **فمحمد ﷺ "... هو الرسول الذي نعرف عنه كل دقيق وجليل، ونعرف عنه من دقائق الأخلاق والصفات، والميول والرغبات، والقول والعمل، ما لا نعرفه عن غيره، بل إن ما عرفناه عن الأنبياء جاء من طريق الوحي الذي أنزله الحق -تبارك وتعالى- على خاتم الرسل صلوات الله**[٢٧]، علما أن القرآن الكريم كان مدونا في عصره ومحفوظا في الصدور وما تيسر من وسائل الكتابة، يقول الدكتور سلمان العودة: **" وإذا كان القرآن الكريم أول مصدر لهذه السيرة فهو نموذج للصدق والحفظ من الزيادة والنقصان، قال الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر:٩) ويتضح الفرق حين المقارنة بين القرآن الكريم وبين سائر الكتب المنزلة قبله كالتوراة والإنجيل، والتي لم تعد صالحة للاعتماد نظرا لما شابها من التحريف، ولو لم يحفظ القرآن، لنا نبذا من سير الأنبياء السابقين وكذا نصوص السنة الصحيحة لم يبق شيء يعتمد عليه ويوثق به في معرفة سيرهم"**[٢٨]

---

[٢٦]- الجامع الصحيح للسيرة النبوية، لسعد المرصفي

[٢٧]- نفسه

[٢٨]- دروس سلمان العودة، المكتبة الشاملة

- السنة النبوية:

فإذا كان القرآن قد أرخ للسيرة النبوية في كل مستوياتها إلا أنه لم يذكر كثيرا من الأحداث التفصيلية الأخرى، وترك ذلك للسنة النبوية التي استفادت في ذلك من:

* من إعمال قواعد الجرح والتعديل فيها باعتبارها جزء من السنة، إذ وردت في أبواب كتب السنة، فتناولها علماء الجرح والتعديل بالنقد والتمحيص من حيث السند والمتن مستفيدة من منهج المحدثين، قال :" **وقد كان لقواعد التحديث رواية ودراية الأثر الفعال في وضع الموازين التي تكفل السلامة للباحثين، وتقيم الحجة على المفسدين المغالطين، ممن ساءت نواياهم حيال هذا الدين، فاتهموا هذه القواعد بما لا يقوم على ساق ولا قدم، ولا يستقر عند البحث والنظر!**"[٢٩]

* كما ان بعضها كتب في حياة الرسول ﷺ.

* تناقلها عبر الأجيال مما يحميها من التحريف لأصولها التي استندت عليها، مثل ما وقع للأنبياء السابقين، فقد نقلها الصحابة عن الرسول ﷺ وتنافسوا في ذلك، سواء في أمر الشمائل أو الغزوات أو تصرفاته الخاصة والعامة، ونقلوها إلى التابعين ثم تابعيهم، وهكذا إلى أن وصلت إلينا، مما يحميها من التغيير أو الزوال، وفي كل جيل لها حماة يردون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما تناول أصحاب كتب الطبقات أسماء نقلة حديث رسول الله ﷺ في كل طبقة ابتداء من طبقة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكانت سيرته ﷺ، أيضا، مادة أساسية للمؤرخين الذي تتبعوها منذ مرحلة الرسول ﷺ وتتبعوها في جزئياتها وكلياتها، وقد قال الألماني المعروف الدكتور سبرنكو أنه قال في مقدمته على كتاب (الإصابة) مطبوع في كلكتا- 1853 1864 م :"لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر"[٣٠]، وقال شبلي نعمان: (إلى يوم الدين لن يستطيع أحد أن ينافس المسلمين في فخرهم بحفظ أدق تفاصيل كل حادث في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بطريقة دقيقة وواعية، لا يصل إلى مستواها تسجيل حياة أي إنسان آخر من قبل، ولا يمكن أن ينتظر من بعد، فمن أجل تسجيل هذه الحياة بأدق تفاصيلها قام علماؤنا بتسجيل أسماء وخصائص نحو ثلاثة عشر ألفا من الصحابة، وتم هذا في وقت كان فجر نظام التأليف!"[٣١]

الوضوح:

فسيرته سيرته ﷺ في جميع مراحلها، منذ الإرهاصات الأولى لبعثته إلى زواج أبيه بأمه ومرضعاته، ومراحل طفولته في تدرجها وتنوع أحداثها في كل مراحلها، إلى

---

[٢٩]- كتاب الجامع الصحيح للسيرة النبوية

[٣٠]- نفسه

[٣١]- الجامع الصحيح للسيرة النبوية

زواجه وأنواع كسبه، وأسماء أزواجه، بل وحتى عدد شعرات رأسه التي شابت، بل ومراكبه وأسمائها، وأدق خصوصياته إلى مرحلة وفاته ﷺ بشكل مفصّل ودقيق مقرونة بسنوات حدوثها، دون انقطاع أو غموض، فهو كما قال بعض النقاد الغربيين: "إن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي ولد في ضوء الشمس"[٣٢].

إن هذا الوضوح لم يتيسر مثله، ولا قريب منه لأحد من الرسل عليهم السلام، أو أحد من البشر، فلم نجد شيئاً عن طفولة الأنبياء السابقين، وشبابهم، ومعيشتهم قبل النبوة وكذلك فإننا لا نعرف إلا القليل عن حياتهم بعد النبوة، مما ورد في الكتاب والسنة، وأما المصادر الأخرى، غير الإسلامية، فهي موضع شك.

إن ميزة وضوح السيرة بتفاصيلها، يعطينا صورة مكتملة لشخصية الرسول ﷺ في كل جوانبها، وللظروف والأحوال التي مر بها، وصورة مكتملة للحياة الاجتماعية التي رافقت سيرة حياته الكريمة.

الواقعية والمثالية:

فحياة الرسول ﷺ جمعت بين خاصيتين أساسيتين، الواقعية، إذ هي سيرة تجسد إنسانا يعيش كما يعيش الناس، ويمرض كما يمرضون، ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فألبس عليه الله لباس البشر، ولم ترفع سيرته عن هذه البشرية، قال تعالى يرد على الكفار الذي طالبوا برسول ملك: (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا) (الفرقان،٧) (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ(8) **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**) (الأنعام، ٨-٩).

وهي مع ذلك مثالية، إذ جسدت ذلك النموذج الكامل للإنسان، فسيرته صلى الله عليه وسلم بلغت في كمال الخلق والسلوك منتهاه، وجمعت من الخير والفضل أعلاه، ولذلك قال تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) (الكهف)، فهو كبقية البشر من حيث طبيعته البشرية، لكنه مثال ونموذج لهم بما فضله الله عليه مما أوحى له به من الرسالة.

قال السباعي:"وحياة الرسول - ﷺ - سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، لم تخرجه عن إنسانيته، ولم تلحق حياته بالأساطير، ولم تضف عليه الألوهية قليلا ولا كثيرا، ونحن إذا قارنا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى -عليه السلام- وما يرويه غيرهم عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جليا بين سيرته - ﷺ - وسير هؤلاء، ولذلك أثر بعيد المدى في السلوك الإنساني والاجتماعي، فادعاء النصارى الألوهية لعيسى عليه السلام جعله أبعد منالا من أن يكون قدوة، نموذجية للإنسان في حياته الشخصية والاجتماعية، بينما نرى محمدا - ﷺ - المثل النموذجي الإنساني الكامل لكل من أراد أن يعيش سعيدا كريما

---

[٣٢]- نفسه

في نفسه وأسرته وبيئته، وصدق الله العظيم: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)(الأحزاب:٢١)"[٣٣]

الشمول:

أنها كاملة شاملة لركيزتين أساسيتين: حقوق الخالق، وحقوق العباد ولا يصدق إيمان أو يقام دين إلا بهما، من خلال:

١- بيان حقوق الله: فبعض الديانات ليس فيها ذكر لله البتة مثل البوذية والديانات الصينية، والبعض الآخر تؤمن بوجود الله تعالى، لكن لا يعرف الإنسان فيها كيف يعتقد بربه؟ وبأي صفة يصفه؟... .

٢- بيان حقوق العباد: إذ في جميع الأديان لن تجد تفصيلاً للحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية، فضلاً عن الحياة السياسية والعلاقات الدولية، والشئون الاقتصادية. تفحص في سير جميع الأنبياء والعظماء هل تجد إجابة على هاتين الركيزتين؟ من المؤكد أنك لن تصل إلى نتيجة مرضية إلا في دين الإسلام وسيرة النبي العدنان عليه الصلاة والسلام. إذ إما آخرة أو دنيا، أما سيرة المصطفى فجمعتهن جميعا، قال تعالى: قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين جات لكل مستويات تكوين الإنسان، جسد، روح، عقل

شهادة أحد رهبان الأقباط، نظمي لوقا، في كتابه محمد الرسول والرسالة، ص: ٥٥ عن هذا الشمول

فالسيرة النبوية تحكي حياة إنسان أكرمه الله بالرسالة وأجرى على يديه كثيراً من المعجزات، وحقق من الانتصارات والنجاحات، ما لم يحققه بشر على وجه الأرض، ومع ذلك لم تخرجه السيرة عن بشريته وإنسانيته، أو تجعل حياته كالأساطير، ولم يحط بهالة من التقديس، تضفي عليه أوصاف الألوهية، كما فعل كتّاب سيرة بعض الأنبياء، أو روايات البوذيين عن بوذا، قال تعالى: قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (الكهف، ١١٠). ولهذا ذكرت السيرة مواطن الثناء عليه، كما ذكرت المواطن التي عاتبه الله فيها.

في الثناء عليه، قال: وإنك لعلى خلق عظيم

في عتابه، قال تعالى في قصة أسرى بدر: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وقال في تحريمه للعسل إرضاء لأهله:

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم)

---

[٣٣]- نفسه، وأنظر السيرة النبوية دروس وعبر للسباعي

الواقعية والفعالية

إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، قال السباعي رحمه الله تعالى: "قصارى القول :إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مربي، وكل سياسي، وكل رئيس دولة، وهكذا ..."[٣٤].

فهي بذلك، سيرة متحركة وفاعلة في الزمان والمكان، وليست مجرد حكاية، بل هي منهج حياة يبني المجتمع فردا وجماعة، عاملا للدنيا ومستعدا للآخرة.

[٣٤]- السيرة النبوية دروس وعبر

بسم الله الرحمان الرحيم

السيرة النبوية من الميلاد إلى البعثة

تمهيد:

قبل الحديث عن هذه المرحلة، لا بد ان نتوقف عن الحالة التي كانت عليها العالم، لنحدد البيئة الاجتماعية التي ستستقبل الرسول ﷺ وسيعيش فيها ثم يبعث فيها في ما بعد.

- حالة العرب في الجاهلية:

تميزت شبه الجزيرة العربية في أغلبها بكونها منطقة تغلب عليها البداوة، فكانت تعتمد على التجارة والرعي وبعض الحرف المرتبط بمعيشتهم، كالفخار، أو بصناعة الأسلحة البسيطة التي كانوا يحتاجونها، ولم يكونوا أهل زراعة لأنهم وضواحيها منطقة محاصرة بالجبال الجرداء، وبعضها صحار شاسعة غير صالحة للزراعة إلا ما ندر.

وتميزت من الناحية السياسية بالتفكك والتفرق وشيوع الحروب بين العرب لأتفه الأسباب، كحرب داحس والغبراء وحرب البسوس، وكانت أيامهم فر وكر، وقد خلدت أشعرهم ذلك.

وفي من ناحية التركيبة الاجتماعية، كان هناك نوع الطبقية الاجتماعية المرتبطة بالعرق والمكانة المالية، مما ولد "طبقة غنية متخمة وأخرى متوسطة وثالثة معدمة، فرؤوس الأموال الكبيرة بيد الأغنياء، وهي تتعاظم بالتجارة وبالإقراض الربوي للمحتاجين، وبالاستثمار في الزراعة في الطائف المجاورة. وهكذا كان من أغنياء مكة من يأكل بصحاف الذهب والفضة في حين كان أكثر أهل مكة فقرا"[٣٥].

وشاع أيضا فيهم من الخرافات ما تذهل له الأنفس، ومنه أنه كان الرجل إذا خرج في سفر ربط خيطا بغصن شجرة، فإذا وجده قد حل انتهم زوجته بالزنا، وكان لعرافة مشهورة فيهم، وكان فيهم التطير...

كما شاعت فيهم مظاهر اجتماعية غير مقبولة، مثل: الحانات، وذوات الرايات الحمر، وأنواعا من الزواج غير الشرعي، وشاع فيهم التطير من البنات ووأدهن...

---

[٣٥]- السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين، لأكرم ضياء العمري

ومن الناحية الدينية، عرفوا بعبادة الأوثان، حتى أصبحت تجارة رابحة في مكة، سواء بيعا وشراء أو تقديما للقرابين واستثمار مواسم حج الناس للتعبد، قد بلغت أزيد من ثلاث مائة وستين صنما بالكعبة لوحدها.

وشاع الظلم في الأسرة بظلم الرجل للمرأة، وتفضيل الذكر على الأنثى، مما صوره القرآن تصويرا رائعا منفرا، وظلم الغني للفقير، والقوي للضعيف كما وصف جعفر بن أبي طالب للنجاشي عند هجرتهم إلى الحبشة.

إلا أن العرب، رغم ما قيل، تميزوا بمجوعة من الأخلاق العالية، كالكرم، قول الخنساء في مدح صخر: طويل النجاد رفيع العماد ... كثير الرماد إذا ما شتا، ومن أمثلة شدة الإنفاق والمبالغة فيه "سأل رجل حاتماً الطائي فقال : يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم ؟!! قال : نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس من الغنم ، فعمد إلى رأس منها فذبحه . وأصلح من لحمه ، وقدم إلي ، وكان فيما قدم إلي الدماغ ، فتناولت منه فاستطبته ، فقلت : طيب والله . فخرج من بين يدي ، وجعل يذبح رأساً رأساً ، ويقدم إلي الدماغ وأنا لا أعلم . فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره . فقلت له : لم فعلت ذلك ؟!! فقال : يا سبحان الله تستطيب شيئاً أملكه فأبخل عليك به ، إن ذلك لسُبةً على العرب قبيحة . قيل يا حاتم : فما الذي عوضته ؟!! قال : ثلاثمائة ناقة حمراء وخمسمائة رأس من الغنم ، فقيل أنت إذاً أكرم منه فقال : بل هو أكرم ، لأنه جاد بكل ما يمكله وإنما جدت بقليل من كثير"[٣٦].

وغلبت عليهم الأنفة، ولم يكونوا يقبلون الكذب ولا النفاق، وهي خصال جديرة بحمل الرسالة والذب عنها، وكانوا يتميزون بعزة النفس فلا يقبلوان الاستعباد والخضوع للغير، كما تميزوا بشدة الحمية والذب عن الأعراض...

وكانت مكة، في هذا الوسط المضطر، آمنة مطمئنة، نظرا لمكانتها الدينية عند العرب.

وكانت بيئتهم شديدة القسوة، من حيث جفاف طقسها وندرة الماء فيها

في هذه البيئة الطبيعية والاجتماعية والسياسية والثقافية والأخلاقية ولد الرسول ﷺ، ونشأ وترعرع.

---

[٣٦]- المستجاد من فعلات الأجواد، التنوخي، المحسن بن علي

التعريف بالرسول ﷺ:

فأما نسبه ﷺ من أحسن الأنساب وأعلاها، قال محمد الغزالي: "ولد محمد ﷺ من أسرة زاكية المعدن، نبيلة النسب، جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل، وترفعت عما يشينهم من أوضار، قال رسول الله ﷺ عن نفسه:" إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[٣٧]

"وعراقة الأصل لا تمنح الرجل الفاشل فضلا، كالصلب إذا ترك للصدأ، يمسي لا غناء فيه، أما إذا تعهدته اليد الصناع فإنها تبدع منه الكثير"[٣٨]

"وقد أقر أبو سفيان أمام هرقل بعلو نسب النبي ﷺ حين سأله" :كيف نسبه فيكم؟ فأجاب أبو سفيان :هو فينا ذو نسب .فقال هرقل :فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها٣٩".

وقد "أجمع النسابون على نسبه إلى عدنان، وإن لم ينقل حديث صحيح بكامل نسبه، ولكن صحت أحاديث ببعضه، على أن من يعرف مدى اهتمام العرب بأنسابها في عصر النبوة وما قبله يدرك أن سلسلة نسبه إلى عدنان لا تحتاج إلى كبير توثيق، ما دام علماء النسب والأخبار متفقين عليها، وما دامت من المعلوم بالضرورة في ذلك العصر"٤٠

"ونسبه الذي يسوقه علماء النسب هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٤١]"

---

[٣٧]- فقه السيرة النبوية
[٣٨]- المرجع السابق
[٣٩]- السيرة النبوية الصحيحة للعمري
[٤٠]- السيرة النبوية الصحيحة للعمري
[٤١]- السيرة النبوية الصحيحة للعمري

مولده ﷺ:

- ولد ﷺ، يوم الإثنين، ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، قال خليفة بن الخياط: والمجمع عليه أنه صلى عليه السلام ولد عام الفيل٤٢، فعن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه، قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، فنحن لدان، ولدنا مولدا واحدا

- قال ﷺ عن سبب صيامه الإثنين: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل على فيه" .(رواه مسلم)

"وقد اختلف المؤرخون في تاريخ يوم مولده وشهره فذهب ابن إسحاق إلى أنه ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وذهب الواقدي إلى أنه ولد لعشر ليال من شهر ربيع الأول، وذهب أبو معشر السندي إلى أنه ولد لليليتين خلتا من شهر ربيع الأول، وابن إسحاق أوثق الثلاثة"[٤٣]

وقد ولد يتيم الأب، إذ "مات في المدينة عند أخواله بني عدي بن النجار، وكان في مهمة تجارية فمرض عند العودة ومات فدفن هناك"[٤٤]

رضاعته:

"قبلت (امنة)على ابنها تحنو عليه في انتظار المراضع المقبلات من البادية، يتلمسن تربية أولاد الأشراف، والأعرابيات اللاتي يقصدن مكة لهذه الغاية هن طالبات رزق ويسار، ولم يكن لمحمد ﷺ أب ترقب عطاياه، أو غنى تغري جدواه، فلا عجب إذا زهدت فيه المراضع وتطلعن إلى غيره.

وكانت (حليمة بنت أبي ذؤيب) من قبيلة (بني سعد) إحدى القادمات إلى مكة ابتغاء العودة برضيع تستعين على العيش بحضانته، ولم يرض طموحها أول الأمر طفل يتيم؛ إلا أنها لم تجد طلبتها، واستحيت أن تعود صفر اليدين، فرجعت إلى (امنة) تأخذ منها (محمدا) ﷺ" (السيرة النبوية الصحيحة، وأنظر السيرة لابن هشام، وصحيح السيرة النبوية وفقه السيرة للبوطي)

"وكانت البركة في مقدمه معها، كانت سنواتها عجافا من قبله، فامتن الله عليها بخير مضاعف :درت الضروع بعد جفاف، ولان العيش وأخصب، وشعرت حليمة

---

[٤٢]- صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم العلي، ص: ٤٧

[٤٣]- السيرة النبوية الصحيحة للعلي

[٤٤]- نفسه

وزوجها وولدها بأن أوبتهم من مكة كانت باليمن والغنم، لا بالفقر واليتم، مما زاد تعلقهم بالطفل وإعزازهم له" (السيرة النبوية الصحيحة)

حادثة شق الصدر في بني ساعدة:

"عن أنس بن مالك "أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال :هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره- فقالوا إن محمد قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس :وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله. فلا يحل في قلبه شيء إلا التوحيد وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثما ولم يسجد لصنم .رغم شيوع ذلك في قومه"(السيرة النبوية للعلي، وانظر، وأنظر السيرة لابن هشام، وصحيح السيرة النبوية وفقه السيرة للبوطي)

"لقد أدت هذه الحادثة إلى إعادة الرسول إلى أمه آمنة وجده عبد المطلب، لأن حليمة خافت عليه ورغبت في إنهاء مسئوليتها عنه رغم حبها له وتعلقها به.

وحكى الواقدي عن ابن عباس أنه كان في الخامسة من عمره عندما أعادته حليمة، وذكر غيره أنه رد إلى أمه وهو ابن أربع سنين، وكان معها إلى أن بلغ ست سنين . حيث توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار، فماتت وهي راجعة إلى مكة " (السيرة النبوية للعلي)

"وقد ترك يتم النبي في نفسه أعمق الأثر، ففي طفولته فقد أمه وكان قد ولد يتيم الأب. وقد بين الزهري أن جده عبد المطلب كفله ورعاه، ويذكر الواقدي أن جده حين توفي -وكان عمره اثنتين وثمانين سنة- أوصى أبا طالب -عمه- به" (صحيح السيرة)

وقد تميز ﷺ منذ طفولته **الذكاء والفطنة وسرعة البديهة:**

وعرف عنه منذ إدراكه رجحان العقل، وأصالة الرأي، وفي حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة دليل واضح على هذا، فقد أصاب الكعبة سيل أدى إلى تصدع جدرانها، فقرر أهل مكة هدمها وتجديد بنائها، وفعلوا، فلما وصلوا إلى مكان الحجر الأسود فيها اختلفوا اختلافا شديدا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وأرادت كل قبيلة أن يكون لها هذا الشرف، واشتد النزاع حتى تواعدوا للقتال، ثم ارتضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب بني شيبة، فكان هو رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا:

هذا الأمين، رضينا بحكمه، فلما أخبر بذلك، حل المشكلة بما رضي عنه جميع المتنازعين، فقد بسط رداءه ثم أخذ الحجر فوضعه فيه، ثم أمرهم أن تأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء، فلما رفعوه وبلغ الحجر موضعه، أخذه ووضعه بيده، فرضوا جميعا، وصان الله بوفور عقله وحكمته دماء العرب من أن تسفك إلى مدى لا يعلمه إلا الله (أنظر سيرة ابن هشام)

كما تميز ﷺ **بحسن الخلق والأمانة:**

عرف عليه الصلاة والسلام في شبابه بين قومه بالصادق الأمين، واشتهر بينهم بحسن المعاملة، والوفاء بالوعد، واستقامة السيرة، وحسن السمعة، مما رغب خديجة في أن تعرض عليه الاتجار بمالها في القافلة التي تذهب إلى مدينة (بصرى) كل عام على أن تعطيه ضعف ما تعطي رجلا من قومها، فلما عاد إلى مكة وأخبرها غلامها ميسرة بما كان من أمانته وإخلاصه، ورأت الربح الكثير في تلك الرحلة، أضعفت له من الأجر ضعف ما كانت أسمت له، ثم حملها ذلك على أن ترغب في الزواج منه، فقبل أن يتزوجها وهو أصغر منها بخمسة عشر عاما، وأفضل شهادة له بحسن خلقه قبل النبوة قول خديجة له بعد أن جاءه الوحي في غار حراء وعاد مرتعدا: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (الضعيف)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.(أنظر سيرة ابن هشام)

وتميز بالعفة، وهذا ما نراه في حياته كلها وخصوصا حين تكفل به عمه أبو طالب كما في المحور التالي:

<u>تكفل عمه به، ورعيه للأغنام:</u>

لم يقبل النبي ﷺ أن يكون عالة على عمه أبي طالب، بل انطلق يبحث عن عمل يعول به نفسه ويعين به عمه صاحب العيال الكثر، ولم يرضى بالبطالة ولا اشرأب عنه إلى عطاء غيره، ولا قبل أن تكون يده سفلى تتكفف الناس إلحافا، بل كان عليه الصلاة والسلام يرعى في أوائل شبابه لأهل مكة أغنامهم بقراريط يأخذها أجرا على ذلك، "وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ما من نبي إلا قد رعى الغنم» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا» وفي رواية أخرى أنه قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فأجاب: «وأنا رعيتها لأهل مكة على قراريط» ثم لما بلغ من عمره خمسا وعشرين، عمل لخديجة بنت خويلد في التجارة بما لها على أجر تؤديه إليه" (صحيح السيرة النبوية)

- سافر مع عمه إلى الشام في الثانية عشر من عمره، وضعف بعض الرواية، ومحاولة المستشرقين استثمار الحديث للطعن في نبوته

- شهوده حلف المطيبين، "وحلف المطيبين كان بين بني هاشم وبني أمية وبني زهرة وبني مخزوم. وكان الحلف في دار عبد الله بن جدعان، وهو تحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ورد الفضول على أهلها، وقد سمى الحلف بحلف الفضول. وإنما ورد في الحديث باسم حلف المطيبين لأن العشائر التي عقدت حلف المطيبين هي التي عقدت حلف الفضول، وحلف المطيبين جرى قديما بعد وفاة قصي وتنازع بني عبد مناف مع بني عبد الدار على الرفادة والسقاية بمكة" (صحيح السيرة النبوية)

- إسهامه في بناء الكعبة

- تجارته لخديجة، ثم زواجه منها "وخديجة كانت في الثامنة والعشرين من العمر، في حين تذهب رواية الواقدي إلى أنها كانت في الأربعين"(السيرة)، وذهب البعض إلى أنها كانت في أقل من ذلك(أنظر السيرة النبوية الصحيحة وصحيح السيرة النبوية)

- حبب إليه الخلاء، إذ كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد كما روت أمنا عائشة رضي الله عنها كما في حديث البخاري.

الدلالات والعبر:

- **مركزية الشرف في القوم على تأثير الداعية في الناس**، ولذلك كان أول ما سأل عنه هرقل أبا سفيان بعد أن أرسل الرسول إلى هرقل كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام هو وقومه: كيف نسبه فيكم؟ فأجاب أبو سفيان وهو يومئذ على شركه: هو من أشرفنا نسبا، ولما انتهى هرقل من أسئلته لأبي سفيان، وسمع جوابه عنها، أخذ يشرح له سر الأسئلة التي توجه بها إليه حول محمد « رسول الله ﷺ» فقال له هرقل: سألتك كيف نسبه فيكم؟ فزعمت أنه من أشرفكم نسبا، وكذلك لا يختار الله النبي إلا من كرام قومه، وأوسطهم نسبا.

وهذا لا يعني أن الدعوة ترتكز على النسب فقط، وإنما هذا من كمالات الدعوة، وإلا فيوسف كان عبدا ولكن أثر في الناس...

- بركة رسول الله ﷺ وفضله، من خلال ما رأته حليمة السعدية.

- وألا نتشاءم من أحد لتزامن ولادته أو زواجه أو قدومه مع حدث نظنه سيئا كمرض أو وفاة، إذ قد يكون هو ذاته باب الفرج بعد الله تعالى.

- الابتلاء يبني القلوب المؤمنة:

فابتلاء الله تعالى للرسول ﷺ (يتم، فقر، معاناة، ضيق ذات اليد...) يدل على:

* أن الابتلاء لإعداده ﷺ لتحملات تبعات الدعوة والصبر عليها.

* ترك ما عدا الله والارتباط بالله سبحانه وتعالى.

* تقديم نموذج لكل من ضيق عليه ليعلم أنه لم يعاني مثل ما عانى رسول الله ﷺ، وليواسي كل من أصيب بمصيبة ولا يرتاب في أمر الله إذ إن مسه اليتم فقد سبقه المصطفى، وإن عضه الفقر فقد سبقه رسول الله ﷺ، وإن قلاه الناس فقد سبقه وسول الله ﷺ.

* أن يتذكر عند تولي المسؤولية والمناصب الفقراء ويحس بما يعيشونه من ضيق.

- كلما عاش الداعية في جو أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن الحياة المعقدة، كان ذلك أدعى إلى صفاء ذهنه، وقوة عقله وجسمه ونفسه، وسلامة منطقه وتفكيره، ولذلك لم يختر الله العرب لأداء رسالة صدفة ولا عبثا، بل لأنهم كانوا بالنسبة إلى من يجاورهم من الأمم المتمدنة أصفى نفوسا، وأسلم تفكيرا، وأقوم أخلاقا، وأكثر احتمالا لمكاره الحروب في سبيل دعوة الله ونشر رسالته في أنحاء العالم.

- لا يتأهل لمركز الدعوة وقيادتها إلا الذكي النبيه، فالأغبياء والمتوسطون في نجابتهم أبعد الناس عن جدارة القيادة الفكرية، أو الإصلاحية، أو الروحية، بل إن من سنن الحياة ألا يتمكن من القيادة في أي ناحية من نواحي الحياة عن جدارة واستحقاق الأغبياء والمضطربون في تفكيرهم، والشاذون في آرائهم، وإذا واتت الصدفة أو الظروف واحدا من هؤلاء، فحملته إلى مركز القيادة، فسرعان ما يهوي إلى الحضيض ويتخلى عنه قومه بعد أن تدلهم أفعاله على غباوته، أو شذوذه، أو اضطراب تفكيره.

- لا بد للداعية أن يكون عزيز النفس، ومستقلا عن غيره، يأكل من كد يده مما شرف من الأعمال، ولا يرضى بأن يمد يده إلى غيره، لأن ذلك مما يؤدي إلى إذلاله والحط من قيمته، والتدخل في آرائه وفقدانه لاستقلالية فكره ورأيه.

- الداعية المستقيم في شبابه، يظل أبدا رافع الرأس ناصع الجبين، لا يجد أعداء الإصلاح سبيلا إلى غمزه بماض قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف تكأة للتشهير به، ودعوة الناس إلى الاستخفاف بشأنه.

- إن تجارب الداعية بالسفر، ومعاشرة الجماهير، والتعرف على عوائد الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، لها أثر كبير في نجاح دعوته، فالذين يخالطون الناس في الكتب والمقالات دون أن يختلطوا بهم على مختلف اتجاهاتهم، قوم مخفقون في دعوة الإصلاح، لا يستمع الناس إليهم، ولا تستجيب العقول لدعوتهم، لما يرى فيهم الناس من جهل بأوضاعهم ومشكلاتهم، فمن أراد أن يصلح المتدينين عليه أن يعيش معهم في مساجدهم، ومجالسهم، ومجتمعاتهم، ومن أراد أن يصلح حال العمال والفلاحين، عليه أن يعيش معهم في قراهم، ومصانعهم، ويؤاكلهم في بيوتهم، ويتحدث إليهم في مجتمعاتهم، ومن أراد أن يصلح المعاملات الجارية بين الناس، عليه أن يختلط بهم في أسواقهم، ومتاجرهم، ومصانعهم، وأنديتهم، ومجالسهم...

- أهمية الخلوة في :

* تمكين الداعية من التأمل والتدبر، الذي يحتاج إلى صفاء الذهن.

* حاجة الداعية إلى الخلوة بنفسه لتأمل أحوالها، قصد إصلاحها، وإلا ضيعها في زحمة مشاكل الحياة وصخبها.

* أهمية التأمل في الكون في الوصول إلى معرفة الله واكتشاف حقائق وأسرار هذا الكون.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمان الرحيم

السيرة النبوية من البعثة إلى الهجرة ½

تقديم:

- بعد استكماله ﷺ الشرطين المتعلقين:
- بالتكوين الذاتي الخاص المؤهل للقيادة وحمل الرسالة (البعد الخلقي والخلقي والعاطفي والنفسي والعقلي، وكلها تتداخل فيها الظروف البيئية والوراثية والرعاية الربانية)
- معرفة الآخر والاطلاع على العالم وواقعه، (الذي يضطرب فيه عبر دوائره التي تبدأ بعلاقاته الضيقة ثم تتسع عبر الإقليم والوطن والجماعة والشعب والأمة، لكي تشمل العالم كله)
- يقول عماد الدين خليل: "ومن ثم، فإن أي حوار ينفتح بين الإنسان والعالم سوف لن يبعث أبطالا إن لم يكن كلا القطبين مهيأ لإنجاز ذلك الحوار" (دراسة في السيرة)
- وقد استمر ذلك طوال أربعة عقود من التكوين والبناء، مما يطرح السؤال: لم لَم يبدأ الدعوة وهو شاب جلد، ﷺ؟؟

<u>مرحلة الإعداد النهائية:</u>

- رغم توفر البعدين السالفين، لا يمكن أن تكتمل سمات الرسول القائد إلا بالبعد الثالث وهو البعد الروحي، وهو أشدها ثقلا، وذلك ما جسده خروجه صلى الله من مجتمع أحس فيه بالغربة، غربة تضاربت فيه الروح النقية مع الوثنية، العقل مع الخرافة، الروح مع المادة، فاقتضى الأمر الخروج والعزلة والتأمل، وتلك هي المرحلة الثالثة التي يبينها الحديث، عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: (كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ)

<u>- دلالة هذه المرحلة:</u>

- أهمية التأمل في حياة الداعية والمصلح في كل حال وعند اضطراب أحوال الناس وحدوث الفتن.
- هي دلالة على المفارقة المهيئة للمفاصلة مع باطل قريش
- تهييء للرسول الله ﷺ بالرؤيا الصادقة في المنام حتى لا يفزع من الوحي

- أهمية ودلالة زمن الخلوة وهو شهر رمضان.

٢- بدأ تنزل الوحي وكيفية:

في تمام الأربعين من عمر رسول الله ﷺ يأتيه الوحي، قال ابن القيم:" **بعثه الله على رأس أربعين وهي سن الكمال .قيل :ولها تبعث الرسل"**[٤٥] عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ... حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ. أَبْشِرْ. فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدا. وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى. وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخا كَبِيرا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَآهُ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا. يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا". وفي رواية للبخاري: "ثم لم ينشَبْ ورقةُ أنْ تُوفيَ وَفَتَر الوحْي فتْرةً حتى حَزِن رسولُ الله ﷺ"

" هذا قول عائشة والجمهور"[٤٦]الذين ذهبوا إلى أن أول ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بدئ ب" اقرأ"، "وقال جابر :أول ما أنزل عليه (ياأيها المدثر) (المدثر: ١)والصحيح قول عائشة لوجوه:

أحدها :أن قوله: ما أنا بقارئ، صريح في أنه لم يقرأ قبل ذلك شيئا.

الثاني :الأمر بالقراءة في الترتيب قبل الأمر بالإنذار، فإنه إذا قرأ في نفسه أنذر بما قرأه، فأمره بالقراءة أولا، ثم بالإنذار بما قرأه ثانيا.

الثالث :أن حديث جابر، وقوله :أول ما أنزل من القرآن (ياأيها المدثر) (المدثر: ١) قول جابر، وعائشة أخبرت عن خبره ﷺ عن نفسه بذلك

---

[٤٥]- زاد المعاد في هدي خير العباد

[٤٦]- زاد المعاد

الرابع :أن حديث جابر الذي احتج به صريح في أنه قد تقدم نزول الملك عليه أولا قبل نزول (ياأيها المدثر)(المدثر: ١) فإنه قال: فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فرجعت إلى أهلي فقلت :(زملوني دثروني، فأنزل الله (ياأيها المدثر)(المدثر: ١) وقد أخبر أن الملك الذي جاءه بحراء أنزل عليه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق: ١) فدل حديث جابر على تأخر نزول (ياأيها المدثر) (المدثر: ١) والحجة في روايته لا في رأيه"[٤٧].

فترة الوحي:

قال ابن حجر: وكان ذلك [أي انقطاع الوحي أيامًا]؛ ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود، فلما حصل له ذلك وأخذ يرتقب مجيء الوحى أكرمه الله بالوحي مرة ثانية. قال: ﷺ:(جاورت بحراء شهرًا فلما قضيت جوارى هبطت [فلما استبطنت الوادي] فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أرشيئًا، فرفعت رأسى فرأيت شيئًا، [فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فَجُئِثْتُ منه رعبًا حتى هويت إلى الأرض] فأتيت خديجة فقلت: [زملوني، زملوني]، دثرونى، وصبوا على ماء باردًا)، قال: (فدثرونى وصبوا على ماء باردًا، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: ١: ٥]) وذلك قبل أن تفرض الصلاة، ثم حمى الوحى بعد وتتابع[٤٨].

دلالات هذه المرحلة:

- دلالة نزول الوحي في سن الأربعين
- دلالة نزول الوحي في غار حراء، وأهمية تحميل الرسالة في الحالة النفسية والمكان الملائم بعد طرح السؤال واشتياق الجوارح للمعرفة وامتلائها بحب التغيير
- دلالة طريقة نزول الوحي الشديدة وكيفيته
- أهمية الإيمان بالفكرة في الدفاع عنها والتضحية لأجلها (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)(البقرة)
- الحكمة من فترة الوحي، وهي تشوف وتشوق الرسول ﷺ للوحي ...
- أهمية المرأة المساندة المثبتة المساعدة في الدعوة الإسلامية، توجه خديجة به صلى الله عليه وسلم إلى ورقة الذي قال:

---

[٤٧]- زاد المعاد

[٤٨]- فتح الباري

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك إن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قسّ ... من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود يوماً ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم ... شهدت وكنت أولهم ولوجا
أرجّي بالذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفاهة غير كفر ... بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة خروجا[٤٩]

وماتت ورقة في فترة الوحي، قبل نزول الفرائض والأحكام

- إعداد المصلح للتحديات منذ اللقاء الأول بين الوحي وبين الرسول ﷺ، ليعلم أن رسالته رسالة ثقيلة، وأن مهمته جسيمة، ليعد نفسه لتكون بقدر تلك الرسالة، وهذا ما يحتاج معرفته والعمل به كل فرد من هذه الأمة.

٣- بدأ الدعوة السرية:

استمرت الدعوة السرية ثلاث سنوات يدعو ﷺ من يثق في إسلامهم، قال العمري" بدأت الدعوة الإسلامية بمكة سرية، ويحدد ابن إسحاق والواقدي هذه المرحلة بثلاث سنين، وحددها البلاذري بأربع سنين"٥٠، قال ابن القيم: "وأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفيا، ثم نزل عليه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (الحجر: ٩٤)، فأعلن ﷺ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين"٥١

- الرعيل الأول من المسلمين:

يدل حديث بدء الوحي دلالة قاطعة على أول من أسلم وواسى الرسول ﷺ زوجه خديجة بنت خويلد، ثم علي بن أبي طالب الذي كان في حجره، فسارع إلى الإجابة بعد عرض الدعوة عليه، على الرغم من صغر سنّه ، ثم أسلم مولاه زيد بن حارثة ، وأسلمت بناته زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقيّة رضي الله عنهنّ ،ف حاز بذلك بيت النبوّة شرف الأسبقيّة في الإسلام .

وبعد ذلك انتقل النبي - ﷺ - إلى دائرة أصحابه ومعارفه ، فدعا أبا بكر رضي الله عنه، قال:" إن الله بعثني إليكم، فقلتم :كذبت .وقال أبو بكر :صدق، وواساني بنفسه وماله "إنه أول الناس إسلاما" (أنظر السيرة النبوية الصحيحة)

٤٩- السيرة لابن هشام
٥٠- السيرة النبوية الصحيحة للعمري
٥١- زاد المعاد

وقد أسلم أهل بيت أبي بكر بإسلامه، قالت عائشة رضي الله عنها" :لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين٥٢ "

وكان في إسلام أبي بكر رضي الله عنه فاتحة خيرٍ على الإسلام ودعوته، فقد كانت قريشٌ تحبّه لسعة علمه وحسن ضيافته، ومكانته كرجلٍ من كبار التجّار الذين لهم ثقلٌ في المجتمع المكّي، ولذلك استجاب له الكثير من الناس، ومنهم: عثمان بن عفّان، و طلحة بن عبيد الله، و الزبير بن العوّام، و سعد بن أبي وقاص، و عبدالرحمن بن عوف، و عثمان بن مظعون، و أبو سلمة بن عبد الأسد، و أبو عبيدة بن الجراح، و الأرقم بن أبي الأرقم، و خبّاب بن الأرت، و عمار بن ياسر وأمّه، رضي الله عنهم أجمعين .

وسارع كل واحدٍ من هؤلاء إلى دعوة من يطمئنّ إليه ويثق به، فأسلم على أيديهم جماعة من الصحابة، حتى وصل عدد الذين أسلموا في تلك الفترة - وفقاً لمصادر السيرة - ما يزيد على الأربعين ما بين رجلٍ وامرأة ، وهؤلاء هم السابقون الأوّلون الذين ذكرهم الله عزّوجل في قوله: { والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار } (التوبة : ١٠٠)

- فكان الصحابة يصلون الصلاة ركعتين، وهم متخفين من قريش، قال سعيد بن زيد: استخفينا بالإسلام سنة ما نصلي إلا ببيت مغلق أو شعب خال ينظر بعضنا لبعض
- اتخاذه دار الأرقم بن أبي الأرقم للتخفي والتربية
- إسلام الجن٥٣

<u>دلالات هذه المرحلة:</u>

- أهمية المرحلة السرية في بناء الدعوة وتجذيرها دون إثارة العدو الرافض لهذا الدين الذي يهدد مصالحه التي بنيت على الباطل، وأيضا من علق بالتقاليد والأعراف الجاهلة.
- لماذا لم تطل المرحلة السرية، لأن السرية تبني نوعا من الانكفاء، وقد تبني المجتمع الدعوي على السلبية وربما ردود الأفعال العنيفة والمتطرفة، وتبعد الناس عن عرض الفكرة لعموم الناس مما يجعلهم يشككون فيها، بل يسهل اتهام الفكرة الدعوية

والجهر بالدعوة يحمي الصف الدعوي من مرض السرية الذي يتجسد في الشك واتهام الآخر لغلبة الاحتراز على الفكر السري، ويحمي من التطرف، والمثالية التي تقدس الآخر وتكفر الآخر أو على الأقل تنقص من قيمته، وتستسهل إمكانات التدبير والعمل في المجتمع ما يصدمها به عند الخروج للعمل فيه.

٥٢- السيرة النبوية الصحيحة
٥٣- أنظر سيرة العمري

٤- المرحلة الجهرية من الدعوة الإسلامية:

- «ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدّث به. فأمر الله رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن يبادي الناس بأمره وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه. ثم قال الله له:(فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[الحجر ١٥/ ٩٤] .
- وحينئذ بدأ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بتنفيذ أمر ربه. فاستجاب لقوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بأن صعد على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر: ما هو؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا ال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم.. ألهذا جمعتنا؟» . فنزل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ «٤») .
- ثم نزل الرسول فاستجاب لقوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ بأن جمع من حوله جميع ذويه وأهل قرابته وعشيرته، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلّها ببلاها» .
- كما قال عز وجل في حقهم: (وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ، قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)!؟
- فلما عاب آلهتهم، وسفه أحلامهم، وجرّ اعتذارهم عن تمسكهم بعبادة الأصنام أنها تقاليد آبائهم وأجدادهم، إلى وصف آبائهم بعدم العقل، أعظموا الأمر، وناكروه، وأجمعوا خلافه وعدوانه، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وإلّا عمه أبا طالب الذي حدب عليه، ومنعه، وقام دونه.
- توسع الاستجابة للدعوة إلى خارج قريش: إسلام أبي ذر، وإسلام الطفيل بن عمرو الدوسي....

الدلالات والعبر:

- الدعوة الإسلامية تميزت بالبعد عن التقاليد والطائفية والقبلية، وجاءت مرتبطة بأرقى تجليات العقل والتفاعل الإنسانيين، قال البوطي: «إنه الدين الذي جاء لتخليص العقل من

براثن التقاليد، كما رأينا في أولى خطوات الدعوة التي قام بها رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

أما التقاليد، فإنما هي تلك التيارات السلوكية التي ينجرف فيها الناس تلقائيا بمجرد باعث المحاكاة والتقليد لدى الإنسان.»[٥٤]

السبب: عدم إمكان التوفيق بين العقيدة المنبنية على الروح والعقل، والتي تتجاوز الزمن والتقاليد البالية، والتقاليد الحاكمة التي تلغي العقل وتقتضي المحاكاة والمتابعة معا

- الحكمة من البدء بالعشيرة لأنها الأسرع إلى التصديق والإجابة، والأبعد عن التكذيب

[٥٤]- فقه السيرة

تحديات الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة:

تقديم:

بعد أمر الله تعالى رسوله ﷺ نبيه ﷺ بالجهر بالدعوة، ثارت ثائرة قريش لتواجه هذه الدعوة الجديدة التي جاءت لتهد الباطل الذي بني عليه المجتمع العربي في ذلك الوقت، من عبادة للأوثان وشيوع الفساد بكل أنواعه وتجلياته في المجتمع، وجاءت لتعيد بناء المجتمع من البناء التقليدي العصبي العنصري الطبقي...

وقد تعددت طرق مواجهة الدعوة الإسلامية من: إغراء ومساومة، وبعد فشلها تحولوا إلى التشهير والتشكيك، ثم الإيذاء الجسدي، ثم المقاطعة الاقتصادية، وسياسة الاغتيالات والنفي.

✓ **التهديد بالتصفية الجسدية:**

إن التهديد بالأذى والقتل على لسان زعماء المشركين لم يكن ينقطع في مرحلة الدعوة العلنية، بل كان يتصاعد ويشتد مع الأيام، فمرة "قال أبو جهل :هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟

فقيل :نعم.

فقال :واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب.

فأتى رسول الله ﷺ، وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته .فلما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له :مالك؟

فقال :إن بيني وبينه **لخندقا من نار وهولا وأجنحة**[٥٥].

✓ **السب والإيذاء**:

لما جاهرهم بما يكرهون توجهوا إليه بالأذى المعنوي بالأساس، خصوصا السب والتشكيك في دعوته، وقد تحمل وزر ذلك عمه أبو لهب، ومن ذلك:

- هجاء وسب كفار قريش للنبي صلى الله لعيه وسلم، ومنهم امرأة عمه ما نزلت }تبت يدا أبي لهب (2) {أقبلت أم جميل بنت حرب، امرأة أبي لهب، وهي تنشد :مذمم أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فسألت أبا بكر إن كان النبي قد هجاها فنفى ذلك وكان رسول الله ﷺ يفرح لأن المشركين يسبون مذمما يقول" :ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد[٥٦] "

---

[٥٥]- السيرة النبوية للعمري

[٥٦]- السيرة النبوية للعمري

- وكان المشركون إذا سمعوا القرآن يجهر به الرسول وهو يصلي بأصحابه مستخفيا يسبون القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فأمره الله تعالى أن يتوسط بالقراءة بحيث يسمعه اتباعه دون المشركين قال تعالى :(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)[٥٧]

- الإهانة والأذى البدني، ومنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم :ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه. وثبت النبي ﷺ ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام- وهي جويرية - فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ حتى ألقته عنه. وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال :اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش.

ثم تسمى :اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد، قال عبد الله بن مسعود :فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب - قليب بدر - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :وأتبع أصحاب القليب لعنة[٥٨]"

- المنع من الصلاة في المسجد، فقد نهى أبو جهل النبي ﷺ عن الصلاة في المسجد الحرام، وهدده في ذلك، قال تعالى: (كلا إن الإنسان ليطغى (6)أن رآه استغنى (7)إن إلى ربك الرجعى (8)أرأيت الذي ينهى (9)عبدا إذا صلى (10)أرأيت إن كان على الهدى (11)أو أمر بالتقوى (12)أرأيت إن كذب وتول) " ولعله في هذه المرة نفسها جاءه أبو جهل فقال :ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي -ﷺ- بعد أن نهر أبا جهل وغلظ له القول، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني. فأنزل الله (فليدع ناديه (17)سندع الزبانية)"[٥٩]

✓ التهديد والتخويف:

قال ابن عباس" :إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمدا قمنا إليه قيام واحد، فلم نفارقه حتى نقتله.

فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها .فقالت :"هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك،

---

[٥٧]- السيرة النبوية للعمري
[٥٨]- فتح الباري
[٥٩]- سنن الإمام الترمذي

قال :يا بنية أدني وضوءا. فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا هذا هو، فخفضوا أبصارهم، وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقم منهم رجل.

فأقبل رسول الله -ﷺ- حتى قام على رءوسهم، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال :شاهت الوجوه، **قال: فما أصابت رجلا منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافرا"**[٦٠]

✓ تعذيب الصحابة الكرام:

قال عبد الله بن مسعود -وهو شاهد عيان-: "أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله -ﷺ- فمنعه الله بعمه أبي طالب. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه.

وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول :أحد أحد"[٦١]، ولازال في ذلك التعذيب حتى اشترى أبو بكر بلالا فأعتقه لوجه الله، وكان يتتبع العبيد الذين يتلقون أنواع التنكيل فيعتقهم لوجه الله، "يذكر عروة بن الزبير -إمام أهل المغازي- "أعتق أبو بكر -رضي الله عنه -ممن كان يعذب في الله سبعة :عامر بن فهيرة، وبلال، ونذيرة، وأم عبيس، والنهدية، وأختها، وجارية بني عمرو بن مؤمل"[٦٢]

وقد قتل في ذلك ياسر وسمية وفتن ابنهما عمار، وكانت في ذلك فتن كثيرة، قال ابن عمر في جزء حديث له:" كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه، إما قتلوه، وإما يعذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة"[٦٣]

✓ سياسة المساومة والإغراء:

- عرض عليه الكف عن سب الآلهة مقابل السلم، " قال عقيل بن أبي طالب- وهو شاهد عيان مشارك في الحدث" :جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا :إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا .فقال :يا عقيل، انطلق فائتني بمحمد -ﷺ- فانطلقت إليه، فاستخرجته من كبسي - بيت صغير- فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة الحر الرحض .فلما أتاهم قال أبو طالب :إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم. فحلق رسول الله -ﷺ -ببصره إلى السماء فقال :أترون هذه الشمس؟ قالوا :نعم .قال :فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة.

فقال أبو طالب :والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا"[٦٤]

---

[٦٠]- مسند الإمام أحمد
[٦١]- فتح الباري
[٦٢]- السيرة النبوية للعمري
[٦٣]- رواه مسلم
[٦٤]- السيرة النبوية للعمري

✓ **عرض عليه المناصفة بين الإسلام وعوائد الكفر**

عرض الكفار على الرسول ﷺ المال والجاه والرئاسة على ترك الدعوة، حين عجزوا عن ترهيبه وإخضاعه، روى ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة- وكان سيدا ذا بصيرة ورأي في قومه- قال في نادي قريش: «يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورا لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: يا بن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم.. فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد، أسمع، قال يا بن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه

قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم.. قال: فاسمع مني. ثم قال:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ، وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ. قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) .

ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ (فصلت) فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، وذلك خوفا مما تضمنته الآية من تهديد"

✓ **المجادلة والتعجيز:**

فبعد عجزهم عن استمالته عن دعوته بإغراءاتهم، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليّ كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه علي، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، انتقلوا إلى مرحلة أخرى وهي التعجيز، فقالوا له: «فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليفجر لنا أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن بعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل وليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب

وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي.. فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول»، فقال لهم: «ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا» .

ثم بعد **ذلك انتقوا إلى مرحلة التشكيك والطعن في الدعوة الإسلامية**، فقالوا له- بعد طول كلام وخصام-: «إنا قد بلغنا أنه إنما يعلّمك هذا، رجل في اليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا. ثم قاموا وانصرفوا عنه»

وطلبوا منه العذاب: أن يسقط عليهم السماء كسفًا، كما يقول ويتوعد، فقال: (ذلك إلى الله، إن شاء فعل). فقالوا: أما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك ونطلب منك، حتى يعلمك ما تراجعنا به، وما هو صانع بنا إذا لم نقبل.

وبعد أن طلبوا منه المعجزات، ومنها معجزة شق القمر، اتهموه بالسحر والكذب.

✓ الحرب الاقتصادية والاجتماعية على المسلمين:

- إبرام وثيقة المقاطعة، ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة، عن ابن إسحاق، وعن غيرهما، أن كفار قريش أجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب، ولكنهم أبوا تسليمه صلّى الله عليه وسلم إليهم. (أنظر سيرة ابن هشام)

فلما عجزت قريش عن قتله صلّى الله عليه وسلم أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب، فكتبوا بذلك كتابا تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلم بنو المطلب رسول الله صلّى الله عليه وسلم إليهم للقتل، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة.

والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات، بدءا من المحرم سنة سبع من البعثة إلى السنة العاشرة منها، وقيل بل استمر ذلك سنتين فقط.

- فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادى المُحَصَّبِ فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل). قال ابن القيم: يقال: كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم، ويقال: نضر بن الحارث، والصحيح أنه بَغِيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ فَشُلَّتْ يده.

تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم ـ إلا أبا لهب ـ وحبسوا في شعب أبي طالب، وذلك فيما يقال: ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة. وقد قيل غير ذلك

ـ معاناة المسلمين في ذلك:

* فجهد النبي صلّى الله عليه وسلم والمسلمون جهدا شديدا في هذه الأعوام الثلاثة واشتد عليهم البلاء، وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر. وذكر السهيلي أنهم كانوا إذا قدمت العير مكة، يأتي أحد أصحاب رسول الله إلى السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته لأهله، فيقوم أبو لهب فيقول: «يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم» ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به.

* نقض الصحيفة: ثم إن خمسة من رؤساء المشركين من قريش، مشوا في نقض الصحيفة، وإنهاء هذا الحصار، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أمية، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود.

* استباحة أموال المسلمين دون وجه حق، ومن ذلك: كان خباب يعمل حدادا، فعمل للعاص بن وائل سيفا، فاجتمع له عنده مال، فذهب يتقاضاه .فقال العاص :لا أقضيك حتى تكفر بمحمد .فرد عليه خباب :حتى تموت ثم تبعث. فقال العاص ساخرا بأنه سيقضيه يوم القيامة من ماله!! فنزلت الآية (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا)[٦٦٦٥]

شكوى الصحابة من شدة التعذيب، وارتداد بعضهم

قال خباب بن الأرث: "أتيت النبي -ﷺ-، وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت :يا رسول الله ألا تدعو لنا؟ فقعد -وهو محمر وجهه -فقال :لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق

---

[٦٥]- سورة مريه، الآية: ٧٧- ٨٠

[٦٦]- فتح الباري

باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله[٦٧]"

[٦٧]- السيرة النبوية للعمري

الهجرة إلى الحبشة:

السبب العام للهجرة: اشتداد التعذيب، وفتح موطن جديد للإسلام:

فبعد اشتداد التعذيب على المسلمين، ضيق الأفق بمكة التي زاد حقد أسيادها على الإسلام كلما امتد وزاد أتباعه من الأسياد والفقراء والعبيد، رأى النبي ﷺ توسيع مجال الدعوة وحماية المسلمين، فكانت الهجرتان الأولى والثانية إلى الحبشة، وقد" وصفت أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ هذا الحدث فقالت:(لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله عليه وسلم إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً - أي جماعات - حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمِنَّا على ديننا ولم نخش منه ظلماً) رواه البيهقي بسند حسن.

ونجمل الأسباب التفصيلية في:

كثرة المسلمين مما ولد أزمة نفسي في قريش دفعت بها إلى:

- تعذيب المسلمين حتى ارتد بعضهم بعد أن فقدوا النصير.
- عدم قدرة النبي على نصرتهم
- الحفاظ على الدعوة من الافتتان، وعدم تركها في مكان واحد قد تجتث فيه.
- أمر الرسول ﷺ لهم، فقال: تفرقوا في الأرض، قالوا: فأين نذهب يا رسول الله؟ قال: هاهنا، وأشار إلى أرض الحبشة (المغازي للزهري)
- نشر الدعوة لذلك اختار لها أشرف القوم.
- الحبشة متجر قرش
- حب الرسول ﷺ للحبشة
- الأحباش أهل كتاب، وملكها رجل صالح عادل، وهم أحق بالتصديق من غيرهم

الهجرة الأولى:

تارخها وعدد المهاجرين:

تمت في رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكانوا عشرة رجال وأربعة نسوة.

أحداث الهجرة:

خرج المسلمون مجموعات، وركبوا البحر ففشلت قريش في إدراكهم، وكان منهم:

- عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت الرسول ﷺ.
- وجعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس، وعبد الرحمان بن عوف.
- والزبير بن العوام من بني أسد.
- وأبو سلمة بن عبد الأسد من بني مخزوم.
- وأبو حذيفة بن عتبة من بني عبد شمس.
- ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، وهكذا معظم المهاجرين من أشراف مكة

عودة المسلمين من الهجرة الأولى:

بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة حدثت في مكة أمور عظام في ظاهرها بسيطة، ولكنها محطات تغيير هامة ليس في أوضاع مكة فقط، بل في خريطة العالم.

مما حدث في مكة:

أولاً: آمن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه عم رسول الله ﷺ.

ثانياً: بعده بثلاثة أيام فقط آمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، فحدثت تغييرات جذرية في سياسة المؤمنين، منها ما يتعلق بقضية الهجرة إلى الحبشة، آمن عمر بن الخطاب فظهر الإسلام في مكة، وأعلن كثير من المسلمين إسلامهم، بعد أن أذن لهم رسول الله ﷺ، وكما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأرضاه، وقلّ إلى حد كبير التعذيب الوحشي الذي كانت تقوم به قريش للمؤمنين، وعاش المسلمون في مكة لحظات عظيمة من السعادة التي لم تمر بهم منذ زمن طويل، سعادة بإسلام البطلين العظيمين الجليلين: حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسعادة بإحساس الأمان النسبي الذي شعر به المسلمون للمرة الأولى منذ أكثر من خمس سنوات، وسعادة بشعور العزة والفخر بهذا الدين وباتباعه

ثالثا: وفي أعقاب الهجرة الأولى إلى الحبشة حدث أن صلى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، فقرأ سورة النجم فسجد في موضع السجود وسجد كل من كان حاضرا إلا اثنين من المستكبرين، فشاع أن قريشا قد أسلمت[٦٨]

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

ثم بلغ المسلمين وهم بأرض الحبشة "أن أهل مكة اسلموا، فرجع ناس منهم عثمان بن مظعون إلى مكة فلم يجدوا ما أخبروا به صحيحا، فرجعوا، وسار معهم جماعة إلى الحبشة، وهي الهجرة الثانية وسرد ابن إسحاق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة عن ثمانين رجلا .وقال ابن جرير :كانوا **اثنين وثمانين رجلا سوى نسائهم وأبنائهم .. وقيل إن عدة نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة"**

لقد ذكر ابن إسحاق دوافع الهجرة الثانية فقال" :فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة[٦٩] "

وقد أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة يحملان الهدايا إلى النجاشي وبطارقته، فقابلا النجاشي طالبين إليه إعادة من هاجر من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى المسلمين فسألهم عن دينهم، فقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه" :أيها الملك كنا قوما على الشرك، نعبد الأوثان ونأكل الميتة، ونسئ الجوار، ونستحل المحارم، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره."

فقال :هل معك شئ مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال جعفر :نعم.

قال :هلم فاتل علي ما جاء به.

فقرأ عليه صدرا من كهيعص، فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم.

ثم قال :إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى انطلقوا راشدين.

ولما أخفقت محاولة وفد قريش في استعادتهم، أثار عمرو بن العاص في اليوم التالي موقف المسلمين من عيسى عليه السلام، فقال للنجاشي :أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولا عظيما.

---

[٦٨]- السيرة للعمري

[٦٩]- السيرة للعمري

فأرسل النجاشي إليهم فسألهم فقال له جعفر :نقول هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فقال النجاشي :ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، وأعطى النجاشي الأمان للمسلمين، فأقاموا مع خير جار في خير دار -كما تقول أم سلمة رضي الله عنهما.

ونذكر رواية صحيحة أن القسيسين والرهبان الذين حضروا مجلس النجاشي وسمعوا القرآن انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله} :ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (82)وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين[٧٠])

الدلالات والعبر:

١- تنوع أشكال تعذيب الكفار للمسلمين

٢- الصبر على الشدّة والبلاء في سبيل الله فلقد لاقى النبي ﷺ وأصحابه في مكة المكرمة، من الشدّة والأذى ما يصعب على غيرهم احتمالُه.

٣- ثبات المؤمنين على عقيدتهم ودينهم الحنيف، دون الخضوع لضغوط الأعداء.

٤- أهمية الحمية والعصبية في حماية الدعوة

٥- علاقة النبي ﷺ مع أصحاب الشعب من عشيرته تدل على رد منهج استعداء الناس وإشعال نار العداوات مع من لم يؤذي المسلمين، وضرورة ربط الصلة بغير المسلمين من غير المحاربين نصرة وتعريفا بهذا الدين.

٦- شفقة النبي ﷺ على أصحابه ورحمته بهم، حيث أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، وحرص القائد على أتباعه.

- وهكذا هيأ الله لعباده المؤمنين المستضعفين المأوى والحماية من أذى قريش وأمَّنهم على دينهم وأنفسهم ، وكان في هذه الهجرة خير للمسلمين، إذ استطاعوا -فضلاً عن حفظ دينهم وأنفسهم - أن ينشروا دعوتهم، ويكسبوا أرضاً جديدة تكون منطلقاً لتلك الدعوة، ومن كان مع الله كان الله معه..
- ثبات أبي أبكر، ورفضه الدنية في دينه بعد قبوله إحسان ابن الدثنة.
- حماية الدعوة من الانقراض حتى إن ضرب قلبها، وتفكيك تركيز المحاربين.

---

[٧٠]- سيرة العمري

- هناك منصفون من غير المسلمين، لكن المشكلة في عدم التبليغ.
- العدو قد يعميه حقده، فيقد خدمات للدين من حيث لا يشعر.
- منهج الكفار الرشوة وشراء الضمائر للتمويه على الحكام.
- ثبات النجاشي وتذكره فضل الله تعالى عليه.

باسم الله الرحمان الرحيم

غزوات الرسول ﷺ

غزوات الرسول ﷺ

بين المرحلتين والرحلتين:

قال د. عماد الدين خليل: إن الإسلام جاء ليعبر عن وجوده في دوائر ثلاث، يتداخل بعضها في بعض، وتتسع صوب الخارج لكي تشمل مزيدا من المساحات: (دراسة في السير ص:١٠٧)

فبنى في مكة دائرة الأنسان وصدته الوثنية عن بناء دائرة الدولة التي تحتضن الإنسان، وفيها يعيش عقيدته وأفكاره لتنافيها مع قيم الدولة القائمة.

الهجرة شكلت الطموح نحو بناء بقية الحلقات.

تحديات استمرار الدعوة بالمدينة واستقرارها فيها:

تقديم:

بعد الصراع مع الكفر في المرحلة المكية ولأجل استكمل بناء دوائر بناء الحضارة، سيعيش الرسول ﷺ مرحلتين مركزيتين، في ما ذكره الأستاذ عماد الدين خليل، وهي :

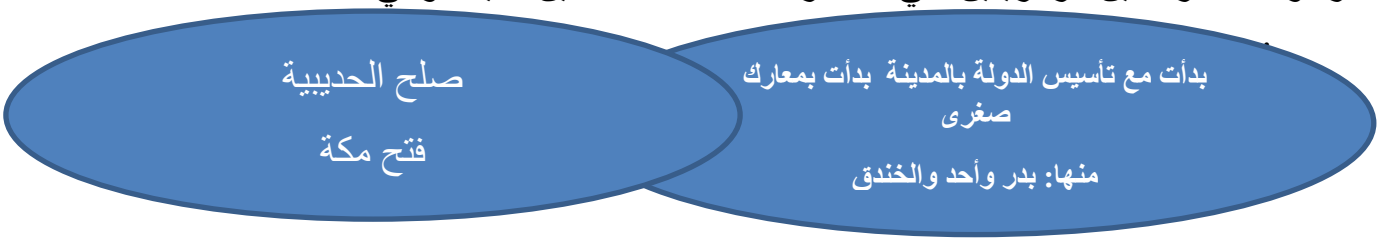

قال الزهري أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا).

- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما خرج رسول الله - ﷺ - من مكة قال أبو بكر: "أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، فأنزل الله -عز وجل – (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وهي أول آية نزلت في القتال»

قال البخاري رحمه الله: "قال ابن إسحاق أول ما غزا رسول الله - ﷺ - الأبواء ثم بواط ثم العشيرة"(البخاري)

وكان خروجه - عليه السلام - إلى الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مهاجره غزوة بواط، وهي على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره (ﷺ)

غزوة العشيرة

وقد كان عدد غزوات الرسول ﷺ التي غزاها "بنفسه خمسا وعشرين غزوة فيما قاله موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبو معشر المدني، وغير واحد.

وقيل :سبعا وعشرين، والمشهور الاول .قاتل في تسع منها :في بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف .وقيل :إنه قاتل أيضا بوادي القرى، والغابة، وبني النضير.

وأما البعوث والسرايا فنحو خمسين" (تهذيب الكمال للمزي)، ونحن بإذن الله تعالى نذكر الغزوات الكبرى منها.

ت	إسم الغزوة	تاريخها	مكان حدوثها	ت	إسم الغزوة	تاريخها	مكان حدوثها
١	ودان(الابواء)	صفر ٢ هـ	ودان	١٥	بدر الآخرة	شعبان ٤هـ	بدر
٢	بواط	ربيع أول ٢هـ	بواط	١٦	دومة الجندل	ربيع أول ٥هـ	دومة الجندل
٣	العشيرة	جماد أول ٢هـ	العشيرة	١٧	بني المصطلق	شعبان ٥هـ	المريسيع
٤	بدر الأولى	جماد آخر ٢هـ	وادي سفوان	١٨	الخندق	شوال ٥هـ	المدينة
٥	بدر الكبرى	رمضان ٢هـ	بدر	١٩	بني قريظة	ذو القعدة ٥هـ	ضواحي المدينة
٦	بني سليم	شوال ٢هـ	قرقرة الكدر	٢٠	بني لحيان	جماد أول ٦هـ	غران
٧	بني قينقاع	شوال ٢هـ	المدينة	٢١	ذي قرد	جماد أول ٦هـ	ذو قرد
٨	السويق	ذو الحجة ٢هـ	قرقرة الكدر	٢٢	الحديبية	ذو القعدة ٦هـ	الحديبية
٩	ذي أمر	محرم ٣هـ	ذو أمر	٢٣	خيبر	محرم ٧هـ	خيبير
١٠	بحران	ربيع أول ٣هـ	بحران	٢٤	عمرة القضاء	ذو الحجة ٧هـ	مكة المكرمة
١١	أحد	شوال ٣هـ	جبل أحد	٢٥	فتح مكة	رمضان ٨هـ	مكة المكرمة
١٢	حمراء الأسد	شوال ٣هـ	حمراء الأسد	٢٦	حنين	شوال ٨هـ	وادي حنين
١٣	بني النضير	ربيع أول ٤هـ	ضواحي المدينة	٢٧	الطائف	شوال ٨هـ	الطائف
١٤	ذات الرقاع	شعبان ٤هـ	ذات الرقاع	٢٨	تبوك	رجب ٩هـ	تبوك

ملخص غزوات الرسول ﷺ

غزوات الرسول ﷺ: مرحلة الصراع مع الوثنية م١"

غزوة بدر، وتسمى يوم الفرقان:

الآيات المتحدثة عن الغزوة:

قال تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) آل عمران:١٢٣، وقال: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** الأنفال:٩-١٣.

العدد والعدة:

- **عدد المسلمين: ٣١٣ وقيل ٣١٤، معهم ٧٠** بعيرا، وفرسين، بسلاح خفيف
- عدد كفار قريش: قرابة الألف مقاتل معهم أزيد من 700 بعير وبين دارع، والقيان والمعازف والزاد الوفير.

موقعها:

قال الصلابي: "وقعت غزوة بدر في صبيحة يوم الاثنين ١٧/ رمضان / ٢هـ، وكان موقعها في أرض بدر، وهي محطة لمرور القوافل المتجهة إلى الشام والعائدة إلى مكة المكرمة، وكانت تمثل سوقاً من أسواق العرب المشهورة ساعدها في ذلك موقعها الجغرافي بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء."

الأسبـــــــاب:

الأسباب الظاهرة:

- استرداد بعض أموال المهاجرين التي كانت ضمن قافلة أبي سفيان بعد ان استولى الكفار على أموال المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة، قال ﷺ: "هذه عير قريش، فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها"

-إحساس قريش بالمهانة بعد إرسال أبي سفيان (ضمضم الغفاري) ليخبر قريشا باعتراض المسلمين لقافلة أبي سفيان بن حرب

- اعتراض قافلة أبي سفيان التي تضم ألف بعير قادمة من الشام، يقودها في نحو ثلاثين أو أربعين تاجرا.

الأسباب الباطنة لقريش:

- رد الاعتبار لقريش وكسر شوكة الدعوة الوليدة التي بدأت تبرز في الجزيرة، (أيظن محمدا وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي (الذي قتل في سرية ابن جحش) كلا، والله ليعلمن ذلك)

- إبادة المسلمين وإنهاء أمر هذه الدعوة الجديدة، موقف أبي جهل بعد رسالة أبي سفيان، غذ أقسم ليردن بدرا وليقيمن فيها ثلاثة أيام ينحر الجزور وتغني فيهن القيان، وتكون لهم أياما تذكر عند العرب.

بعض المجريات:

- **الأخذ بالأسباب الكونية والسماوية، بالدعاء والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى طلبا لمدد السماء، ولم يفرط الرسول ﷺ وأصحابه في اتخاذ التدابير، من: اختيار دقيق لمكان التموضع (أعلى بدر)، التزود بالماء الذي يعتبر سلاحا فتاكا في الصحراء،**

وحرمان قريش منه من خلال تغوير العيون، إعداد مركز القيادة (العريش)، تنظيم الجيش على غير عادة العرب الذين ألفوا الفر والكر.

- **اعتماد قريش على المجد والماضي فقط دون دراسة الخصم، فجاؤوا للتفاخر تعلوهم الكبرياء والتكبر والرياء.**

حال الجيشين:

- **قريش: خمر وقيان وتجبر واعتداد بالقوة العددية**
- **المسلمون: تضرع وعبادة**

الدعم الرباني للمسلمين:

- نزول غيث رحيم نافع للمسلمين، متعب للكفار، وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران:١٢٣، وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال:٩-١٣.

سير المعركة

نزل القرشيون العدوة القصوى (الشاطى البعيد من الوادي)، أما المسلمون فنزلوا بالعدوة الدنيا، وقام المسلمون بردم آبار بدر بعد أن استولوا عليها وشربوا منها.

بدأت المعركة بالمبارزة الفردية .

بارز حمزة بن عبد المطلب شيبة بن ربيعة فقتله، وبارز علي بن أبي طالب ...

نتيجة المعركة

على المستوى الحربي

انتصار المسلمين وهزيمة القرشيين.

موت التيار المتطرف من سادات قريش (أبو جهل، شيبة وربيعة،...)، قتلُ سبعين وأسر سبعين منهم.

على المستوى الاقتصادي

فقدت قريش أهم طرقها التجارية، وضيعت الهزيمة هيبتها ومن ثم بعض حلفائها، وتوجهت ضربة قوية لاقتصاد مكة .

على المستوى النفسي والاجتماعي للمُسلمين

ميلاد قوة عسكرية جديدة، وضياع الزعامة العسكرية وسقوط هيبة قريش عند العرب.

على مستوى شبه الجزيرة العربية

اخذت قبائل جديدة تدخل الدين الإسلامي، أو على الأقل مهادنة المسلمين والتحالف معهم حاصر النبي ورجاله قبيلة بنو قينقاع اليهودية التي تحالفت مع قريش ضدّ المسلمين .

الدلالات والعبر:

- أهمية هذا النصر لتقوية الدعوة الإسلامية

- القضاء على التيار المتشدد في قريش
- بث الطمأنينة في نفوس المسلمين والرفع من معنوياتهم ورد دسائس المنافقين والمشككين، قال تعالى: **(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)**
- بيان تأييد الله تعالى لهم رغم قلتهم
- بيان ضرورة الأخذ بالأسباب الأرضية (التخطيط للمعركة باتخاذ العريش، اتخاذ الموقع المناسب، والنظام بتنظيم الجيش، الاهتمام والتقدير لمن يحارب مهما تدنت رتبه، نموذج سواد بن غزية)
- الارتباط برب السماء وعدم الاعتماد على الأسباب فقط (الدعاء، "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"...)
- أهمية الشورى سواء قبل الحرب مع الأنصار، قبول النصيحة من الصحابي الحباب بن المنذر
- ثبات الأنصار والمهاجرين، ولم التركيز على الأنصار؟
- من أسباب الهزيمة التكبر والاستهانة بالخصم والتركيز على العصبيات وعلى المادة فقط.
- أهمية العلم في الإسلام من خلال فكاك الأسرى مقابل تعليم عشرة من المسلمين.

<u>سؤال للتأمل:</u> هل فعلا كان انتصار بدر انتصارا كاملا، أم أنه يحتاج إلى حلقة أخرى؟؟؟؟

غزوة أحد

التاريخ:
شوال، وقيل: ١٥ منه في السنة الثالثة للهجرة

العديد والعدة:
- قريش بأزيد من ثلاثة آلاف (3000) مقاتل، تتقدمهم نساؤهم ومنهن هند
المسلمون: ٧٠٠ مقاتل، بعد انسحاب عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش

الأسبـــــــاب:
قال ابن جرير الطبري: وكان الذي أهاج غزوة أُحد بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش، وقْعة بدرٍ وقتل مَن قُتِل ببدر من أشراف قريش ورؤسائهم.

قالوا أو من قال منهم: لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلَّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا ندرك منه ثأرا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) قالوا: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة.

لهذا، قام أبو سفيان في قومه يؤلّب على رسول الله - ﷺ - ويجمع القوّات، حتى بلغ لديه قرابة ثلاثة ألف رجل ومائتي فارس، من قريش وما حولها من القبائل العربية، ثم أمر أبو سفيان الجيش بأخذ النساء والعبيد، حتى يستميت الناس في الدفاع عن أعراضهم، وانطلقوا ميمّمين وجوههم شطر المدينة

بعث العباس بن عبدالمطّلب برسالة عاجلةٍ إلى رسول الله - ﷺ - يخبره فيها بخبر القوم، ويبيّن له إمكانات الجيش وقدراته الحربية، لكن رسول الله - ﷺ - أراد الاستيثاق مما ورد في هذه الرسالة، فأرسل الحُباب بن المنذر بن جموح رضي الله عنه ليستطلع الخبر، فعاد إليه مؤكّدا ما ورد في الرسالة.

نموذج من تحريض هند لجيش قريش:

نحن بنـات طـــارق نمشي على النمارق والدر في المخانــق والمسك في المناطـق
إن تقبلــوا نعـــانــق ونفرش النمــارق أو تدبروا نفـــارق فـــراق غير وامـــق

استشارة الصحابة
عقد رسول الله ﷺ مجلساً استشارياً عسكرياً أعلى، تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف، ثم عرض رأيه إلى صحابته ألا يخرجوا من المدينة، فإن دخل المشركون إلى المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين -. لكن بعض الصحابة أشاروا على النبي بالخروج، وتحمسوا لذلك، حتى قال قائلهم: يا رسول الله، كنا نتمني هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه إلينا وقرب المسير، اخرج إلى أعدائنا، لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم.

واستقر الرأي على الخروج للميدان السافر خارج المدينة. ثم صلى النبي ﷺ بالناس الجمعة، وأمرهم بالتهيؤ، ولما صلى بالناس العصر، دخل بيته، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر، فعمماه وألبساه، فتدجج بسلاحه وظاهر بين درعين [أي لبس درعا فوق درع] وتقلد السيف، ثم خرج على الناس.

وكان الناس ينتظرون خروجه، وقد قال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردوا الأمر إليه، فندموا جميعاً على ما صنعوا، فلما خرج قالوا له: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل. فقال رسول الله ﷺ: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأْمَتَه - وهي الدرع - أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه)

فلبس النَّبي ﷺ لَأْمَتَه بعد أن صلَّى بهم الجمعة وخرج بألف مقاتل، ثمَّ مكر زعيم المنافقين عبدالله بن أُبي بن سلولَ، وعاد من منتصف الطريق بثلاثمائة مقاتل، وقال: عصاني وأطاعهم، وكان من رأيه أن يُقاتِلهم في المدينة، وبقي النَّبي ﷺ بسبعمائة مقاتل

بدء المعركة:

وأمَّر على الرماة عبدَالله بن جُبيرٍ، وعددهم خمسُون رجُلًا، فقال: (انضح عنَّا الخيل بالنَّبل؛ لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نؤتينَّ من قِبلك)، ولبس عليه الصلاة والسلام درعين في هذه المعركة.

أحداث بدء المعركة:

تَقدَّم حاملُ لواء المشركين طلحة بن عثمان، فقال: يا معشر أصحاب محمد، إنَّكم تزعمون أن الله يُعجِّلنا بسيوفكم إلى النار، ويُعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجِّله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجِّلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبارزه فقطع رِجلَه، فسقط وانكشفت عورته، فقال طلحة: أَنشُدك الله والرَّحِم يا بن عم، فتركه عليٌّ، فكبَّر رسول الله ﷺ، وقال لعلي: ((ما منعك أن تُجهِز عليه؟))، قال: ناشدني الله والرَّحِم فكففتُ عنه

شدَّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحمل جيش النبي ﷺ على جيش أبي سفيان فهزموه، وحمل خالد بن الوليد قائد خيل المشركين على المسلمين فردَّه الرُّماة، وما هي إلا جولة حتى فرَّت .قريش ووصل المسلمون إلى قلب عسكرها

قال الزبير رضي الله عنه: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب؛ إذ مالت الرُّماة إلى المعسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلَّوا ظهورنا للخيل، وصرخ صارخٌ ألا إن محمدًا قد قُتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم؛ وهذا دليل على هزيمة المشركين في بَدء المعركة.

وفي هذه المعركة أجهز عليٌّ رضي الله عنه على حملة الألوية من المشركين، وأبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعليٍّ: ((احمل عليهم))، فحمل عليهم وفرَّق جَمعَهم، وقتل منهم عمرو بن عبدالله الجمحي، وأبصر آخرين، فأمره أن يَحمل عليهم، فحمل عليهم وقتل منهم شيبة بن مالك

وقَتل حمزةُ عددًا من المشركين، وكان يترصَّد له وَحشي ليَجِد منه غِرَّة فيرميه بحربته، وبينما كان حمزة منهمكًا في قتال سباع بن عبد العزى وأجهز عليه إذا بوحشي يهزُّ حربتَه ويقذفه بها، فتأتي في مكان قاتل، ويحاول حمزة أن يسير إلى وَحشي ليقتله لكنَّه سقط شهيدًا رضي الله عنه

النصر الأولي وبداية الهزيمة:

ورأى الرُّماة فرارَ جيش المشركين وانتهاب معسكرهم فقالوا: بادروا إلى الغنيمة، فقال بعضهم: لا نترك أمرَ رسول الله، وانطلق عامَّتُهم فلَحِقوا بالعسكر، فلمَّا رأى خالد قلَّةَ الرماة، انعطف بخيله عليهم، وقتَل الرماةَ، ثمَّ مال إلى المسلمين يُقاتِلهم، ولما رأى المشركون خيلَهم تُقاتِل عادوا ودارت الدائرة على المسلمين

وفيها أُصيبَ رسولُ الله ﷺ، فكُسرت رباعيته، وشُجَّ رأسه، وكُلِم في وجنته.

وفيها أقبل أُبي بن خلف على فرسه وهو يَصرُخ: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا، فقال المسلمون: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منَّا؟ قال: ((دعوه))، فلمَّا دنا تناول رسول الله ﷺ الحربةَ من الحارث بن الصمة، ثمَّ استقبله فطعنه في عنقه طعنةً تدحرج منها عن فرسه مرارًا

وصعد المسلمون الجبلَ مع رسول الله، وأراد المشركون صعودَ الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا ينبغي لهم أن يَعلونا))، فقام المسلمون ورموهم بالحجارة حتى أنزلوهم، وقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر.

وفيه مَثَّل المشركون بعدد من المسلمين القتلى؛ ومنهم حمزة رضي الله عنه، فجدعوا الأنوف، وقطعوا الآذان، وبقروا البطون، وكان حصيلة القتلى من المسلمين سبعين شهيدًا، وحصيلة القتلى من المشركين اثنين وعشرين قتيلًا. (أنظر سيرة ابن هشام، فقه السيرة لكل من البوطي والغزالي، السيرة النبوية للعمري)

الدلالات والعبر

- أحد تعالج نفسية الفردانية لتذيب الذات في المشروع العام للأمة
- الحرص والتنافس بين المسلمين وخطره على المشروع الذي جاء به الرسول ﷺ
- أن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يُدالوا مرّة، ويُدال عليهم أُخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لوا انتصروا دائماً، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يميز الصادق من غيره
- تعريف المؤمنين سوء عاقبة المعصية، الفشل، والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو شؤم ذلك، كما قال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حَتَّى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم) آل عمران(١٥٢).

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة، وتحرزاً من أسباب الخذلان.

- ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله-عز وجل-أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مُخبَّاتهم وعاد تلويحُهم تصريحاً، وانقسم الناس إلى كافر، ومؤمن، ومنافق، انقساماً ظاهراً، وعرف المؤمنين أن لهم عدواً في نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم
- تحذير الامة من الالتفاف الخالدي في أي زمان، ومعنى ذلك: أن الأمة حين تنشغل بالتنافس على الدنيا وتهمل قضاياها الحقيقية من قبيل الحفاظ على الوطن والأمة، فإن العدو يلتف عليها ويهلكها.

أحداث ما بين غزوتي بـــــدر وأحـــــد:

غزوة بني سليم : شوال من السنة الثانية للهجرة، بعد غزوة بدر بسبعة أيام	استغلال بني سليم من قبائل غطفان لانشغال المسلمين بمعركة بدر، فحشدت قواتها لغزو المدينة *فرار القوم وتركهم ٥٠٠ جمل في الوادي غنيمة للمسلمين *مكوث الرسول ﷺ بها ثلاثة أيام
غزوة السويق :	خروج أبي سفيان من مكة في مائتي راكب، لرد الاعتبار لقريش من وقعة بدر. *تحالفه مع بني النضير (سلام بن مشكم) *مهاجمة العريض وقتل رجلين وأحرق نخلا، وفر إلى لمدينة *تعقب الرسول ﷺ له وفروا وتركوا خلفهم
غزوة ذي أمر(موضع من ديار غطفان) : في المحرم في السنة الثالثة من الهجرة	*تجمع بني ثعلبة ومحارب للإغارة على أطراف المدينة * فرارهم بعد علمهم بخروج رسول الله ﷺ، وإقامته عليه السلام قرابة شهر بنجد دون حرب(٤٥٠م)
غزوة بحران : جمادي الأولى من السنة الثالثة للهجرة	وسار حتى بلغ بَحْران - أو بُحْران - بين مكة والمدينة، يريد قتال بني سليم، فوجدهم قد تفرقوا خوفا وفزعا تحقيقا لقوله - ﷺ - : (نصرت بالرعب مسيرة شهر)
إجلاء بني قينقاع	*نقضهم للعهد مع الرسول ﷺ* تحذيره ﷺ لهم، قال (احذروا من الله مثلما نزَل بقريش من النِّقمة، وأسلِموا؛ فإنَّكم قد عرفتم أنِّي نبيٌّ مرسل))، فقالوا: يا محمد، لا يُغرنَّك أنك لقيت قومًا لا عِلْم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصة)* حصارهم وشفاعة رأس النفاق* إجلاؤهم
اغتيال كعب الأشرف	قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي أن أقول شيئا، قال: قل فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، وإني قد أتيتك أستسلفك

زواج النبي ﷺ بحفصة رضي الله عنهما، وصفها جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: إنّها صوّامةٌ قوامة وإنّها زوجتك في الجنة

*** بعد استشهاد زوجها خنيس* عرض زواحها على بعض الصحابة* صداقها قدره بساط ووسادتان وكساء يفترشانه في الصيف والشتاء ورداءان أخضران**

زواج علي وفاطمة
ذكر البخاري أن ذلك كان بعد غزوة بدرٍ بقليل

***خطبة ميسرة *صداق: درع حطمة (حكمة بن محارب) * جهاز بسيط، عن علي رضي الله عنه قال: (جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل (قطيفة)، وقِرْبة، ووسادة أدم (جلد) حشوها إذخر (نبات رائحته طيبة)**

الدلالات والعبر:

- بيان قوة الدولة الإسلامية الحديثة من خلال رصد تحركات أعدائها واستباق هجومهم

- استمرار تدريب الجيش الإسلامي في أطراف هذه الصحراء المترامية الأطراف على أن يكون دائم النفير والاستعداد لمواجهة العدو

- إضعاف القوى المتربصة من خلال تلك السرايا التي عرفتها تلك المرحلة.

- بناء قوة الردع الإسلامية، والرفع من قيمة هذه الدولة الجديدة بين القبائل

- مكانة بن أم مكتوم، وهي دلالة على عدم تمييز الإسلام بين الناس بسبب الإعاقة، وإنما كانت الكفاءة هي الأصل من خلال استخلافه على المدينة

- قتل كعب دليل على دقة التنظيم الأمني والعسكري للمسلمين، وتطوير آليات مواجهة العدو.

- قتل كعب الأشرف من لدن ابن أخته محمد بن مسلمة دليل على علو محبة الله ورسوله على قرابة الدم

- نشر الذعر في صفوف يهود المدينة المتربصين بالمسلمين

- اهتمام المصطفى بآحاد المسلمين، نموذج ذلك تلك المرأة التي كشف أحد يهود بني قريظة في سوق بني قريظة، واستجابته ﷺ لاستغاثتها.

- فضح الله المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، بعد تفضيله الولاء لأعداء الرسول ﷺ في صراعه مع بني قريظة، قال: (يا محمد، أحسِن في مواليَّ، فلم يجبه، فأدخل يدَه في جيب رسول الله ﷺ، فغضب رسولُ الله ﷺ وقال: ((ويحك أرسِلني))، فقال: لا أرسِلك حتى تُحسِن إلى مواليَّ، أربعمائةَ حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة! إنِّي والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال النبي ﷺ: ((هم لك))

- الولاء للدين وتقديمه على الولاء المرتبط بالمصالح من خلال قول عبادة بن الصامت حين طلب منه يهود دعمهم: (أتولَّى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، وفيه وفي عبدالله بن أُبي نزلت هذه الآيات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة: ٥١]

ما بين أحد والخندق:

غزوة حمراء الأسد

بلوغ الرسول ﷺ خبر الاستعدادات التي قام بها بنو أسد بن خزيمة بقيادة طليحة الأسدي من أجل غزو المدينة طمعا في خيراتها، وانتصارا لشركهم، ومظاهرة لقريش في عدوانها على المسلمين
إرسال سرية من ١٥٠ بقيادة أبي سلمة بن عبد الأسد مقاتلا لمحاربتهم في عقل دارهم قبل اجتماعهم، وقال له: «سر حتى تنزل أرض بني أسد، فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم»

اغتيال أبي سفيان الهذلي

- **قام خالد بن سفيان الهذلي يجمع المقاتلة من هذيل وغيرها في عرفات، وكان يتهيأ لغزو المسلمين في المدينة**

تكليف الرسول ﷺ عبد الله بن أنيس باغتياله، قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني» وهو بعرنة فأته فاقتله، قال: قلت: يا رسول الله انعته حتى أعرفه، قال: «إذا رأيته وجدت له قشعريرة». قال: فخرجت متوشحًا بسيفي، حتى وقعت عليه بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً، حين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أوميء برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل، قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا، قال: أجل أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئا، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال: «أفلح الوجه» قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت»، قال: ثم قام معي رسول الله فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس»... فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المختصرون...يومئذ يوم القيامة» فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه، ثم دفنا جميعًا)

قصة الرجيع

اختلفت مرويات سرية الرجيع فيما بينها كثيرًا حول السبب الذي من أجله بعث النبي ﷺ، وفي الوقت الذي يورد البخاري بأنه إنما بعث عينًا لتجمع المعلومات عن العدو، فإن مرويات أخرى بأسانيد صحيحة ورد فيها أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من قبيلتي عضل والقارة المضريتين إلى المدينة وقالوا: (إن فينا إسلامًا فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام)، ويظهر أن قبيلة هذيل قد سعت للثأر من المسلمين لخالد بن سفيان الهذلي فلجأت إلى الخديعة والغدر، وقد جزم الواقدي، بأن السبب هو أن بني لحيان وهم حي من هذيل، مشت إلى عضل والقارة، وجعلت لهم جعلا ليخرجوا إلى رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن يخرج معهم من يدعوهم إلى الإسلام ويفقههم في الدين، فيكمنوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمنًا في مكة (الصلابي)

بعث عشرة من خير الصحابة قائدهم عاصم بن ثابت، فقتلوا إلا خبيب (معجزة العنب وسن الركعتين) وزيد بن الدثنة فباعوهما لقريش.

- طلب سلافة بنت سعد بن الشُّهيد التي قُتل زوجها وبنوها أربعة، قد كان عاصم قتل منهم اثنين ثأرها منه بشرب الخمر في قحف رأسه، وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة

قصة بئر معونة

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام، يقرأون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم، قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حرامًا خال أنس، من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت وربِّ الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا»

غزوة بني المصطق

تاريخها: يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وَهْم منه، أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه: أنها بعد أُحُدٍ والذي كانت بعد بدر بستة أشهر، هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية (الصلابي)

الأسباب: - نَقْض بني النضير عهودهم التي تحتم عليهم ألا يؤووا عدوًا للمسلمين، ولم يكتفوا بهذا النقض، بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة، قال موسى بن عقبة صاحب المغازي: (كانت بنو النضير قد دسوا إلى قريش وحصونهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودلوهم على العورة)

- محاولة اغتيال الرسول ﷺ، أخرج الطبري عن أبي زياد قال: جاء رسول الله ﷺ بني النضير ليستعينهم في عقل أصحابه ومعه أبو بكر وعمر وعلي فقال: «أعينوني في عقل أصابني» فقالوا: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه ينتظرون وجاء رأس القوم، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ ما قال، فقال لأصحابه: لا ترون أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شرًّا أبدًا. فجاءوا إلى رحى لهم عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاء جبريل عليه السلام فأقامه من ثم، فأنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فأخبر الله نبيه ﷺ ما أرادوا به

الحكم عليهم بالجلاء، لكنهم أبوا

- قال أخطب له: إنا لن نريم -أي لن نبرح- دارنا فاصنع ما بدا لك، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون معه، وقال: «حاربت يهود»

- ضرب الحصار وإجلاؤهم: وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم، فتحركت جيوش المسلمين صوبهم، وضربت عليهم الحصار لمدة خمس عشرة ليلة. وأمر ﷺ بحرق نخيلهم، وقضى بذلك على أسباب تعلقهم بأموالهم وزروعهم، وضعفت حماستهم للقتال، وجزعوا وتصايحوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يفعله، فما بال قطع النخيل وتخريبها؟ وألقى الله في قلوبهم الرعب، وأدرك بنو النضير أن لا مفر من جلائهم، ودب اليأس في قلوبهم وخاصة بعد أن أخلف ابن أبي وعده بنصرهم، وعجز إخوانهم أن يسوقوا إليهم خيرًا أو يدفعوا عنهم شرًا، فأرسلوا إلى النبي ﷺ يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم. فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم: «اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة – وهي الدروع والسلاح- فرضوا بذلك»( ). ونقض اليهود سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها لكي لا ينتفع منها المسلمون. وحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى أن سلام بن أبي الحقيق وحده حمل جلد ثور مملوءًا ذهبًا وفضة، وكان يقول: هذا الذي أعددناه لرفع الأرض وخفضها، وإن كنا تركنا نخلاً ففي خيبر النخل( ). وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن من خلفهم، حتى لا يشمت بهم المسلمون، فقصد بعضهم خيبر وسار آخرون إلى أذرعات الشام

الدروس والعبر

- تجليات حب الرسول ﷺ
- حين يضعف المسلمون تتكالب عليهم الأمم
- الرسول ﷺ لم يستسلم رغم الضربة التي تلقاها في أحد
- قوة إيمان الصحابة وتضحياتهم
- كرامات الصحابة
- جواز الاجتهاد في عهد رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمان الرحيم

غزوة الخندق، الدلالات والدروس والعبر

- تاريخ الغزوة:

وقعت غزوة الخندق باتفاق جمهور علماء السيرة في شوال من السنة الخامسة للهجرة، قال أكرم ضياء العمري: "جرت غزوة الأحزاب في شوال سنة خمس، وهو قول جمهور العلماء ومنهم ابن إسحق والواقدي ومن تابعهم، ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى بن عقبة أنها سنة أربع، ولا اختلاف بين القولين في الحقيقة، لأن القائلين أنها سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول" (السيرة النبوية الصحيحة)

- أسباب الغزوة:

تنوعت هذه الأسباب إلى مباشرة وغير مباشرة:

* أسباب غير مباشرة:

محاولة تحرير الطرق التجارية نحو الشام والقضاء على شوكة المسلمين المتنامية في شبه الجزيرة العربية، بعد أن عجزت هزيمة معركة أحد من تحق

+يق مكاسب للجيش القرشي المنتصر فيها، قال العمري: " على أثر إخفاق قريش في تحرير طرق تجارتها إلى الشام في غزوة أحد، فقد أوقع المشركون خسائر بالمسلمين في أحد، لكنهم عجزوا عن القضاء عليهم أو دخول بلدتهم، وظلت طرق التجارة القرشية مهددة، ونشطت سرايا المسلمين وغزواتهم بعد أحد حتى محت آثار أحد في المدينة والبوادي معا، فكانت قريش تفكر بالقيام بعمل عسكري يحسم الموقف لصالحها بالقضاء على المسلمين في المدينة قضاء مبرما، ونظرا إلى أن قوة قريش وحدها لا تكفي لإنجاز المهمة، فقد سعت قريش إلى التحالف مع الآخرين لحرب المسلمين" (السيرة النبوية الصحيحة)

* أسباب مباشرة:

تحريض بني النضير لقريش على حرب المسلمين، وجمعهم لتحالف كبير من القبائل العربية المعادية للإسلام، إذ"أن نفرا من زعماء اليهود من بني النضير خرجوا حتى قدموا مكة، فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: "سنكون معكم حتى نستأصله، وقالوا لهم إن ما أنتم عليه خير من دين محمد ﷺ"، ففيهم نزل قول الله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (النساء٥١، ٥٢)، فاتفقوا مع قريش على حرب المسلمين وتواعدوا لذلك.

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشا إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك ثم التقوا ببني فزارة وبني مرة، وتم لهم مع هؤلاء جميعا تواعد في الزمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ" (فقه السيرة للبوطي)، "ويذكر موسى بن عقبة أن وفد اليهود وعد غطفان بنصف ثمر خيبر لإغرائها بالمشاركة في التحالف" (السيرة للعلي)

- الجيوش:

بلغ جيش المشركين عشرة آلاف مقاتل، وهم:" وذكر ابن سعد أن قريشا وأحابيشها ومن قدم معها من العرب كانوا أربعة آلاف ومعهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير ثم التحق بهم بنو سليم بمر الظهران وهم سبعمائة.

وأضاف ابن الجوزي أن فزارة كانوا ألف رجل، وأشجع كانوا أربعمائة رجل وبنو مرة كانوا أربعمائة، وبذلك يكون جملة العدد ستة آلاف وخمسمائة مقاتل، وتكون بقية العشرة آلاف مقاتل من بني أسد وبقية غطفان" (العلي)

"من الجنوب قريش وكنانة وأهل تهامة وبنو سليم، ومن الشرق قبائل غطفان، وكذلك خرجت بنو أسد، واتجهت الأحزاب الكافرة نحو المدينة، بدعم من يهود بني النضير، وبتنسيق مع من تبقى منهم داخل المدينة، قال العلي: "وكان مكان تجمع جيش قريش وحلفائها في مر الظهران التي تبعد أربعين كيلا عن مكة، حيث وافاهم حلفاؤهم من بني سليم وكنانة وأهل تهامة والأحابيش، ثم تحركوا نحو المدينة حتى نزلوا بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة. أما غطفان وبنو أسد فنزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد وقد سمى السيوطي القبائل النجدية المشاركة - ومعظمها فروع من غطفان – وهي:غطفان وبنو سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة" (السيرة للعلي)

وقد وصف الله تعالى ذلك المشهد فقال تعالى: (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) (الأحزاب ١٠:١١)

- استعداد المسلمين للحرب:

بعد علم الرسول ﷺ برغبة المشركين وأحلافهم في الهجوم على المدينة المنورة، استشار أصحابه رضي الله عنهم، فاقترح عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق لكبح تلك الجيوش الجرارة التي لا عهد لهم بها، في زمن كان عام جدب، " فخرجوا من المدينة وعسكر بهم رسول الله ﷺ في سفح جبل سلع فجعلوه خلفهم، ثم هبوا جميعا يحفرون الخندق بينهم وبين العدو، كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف" (فقه السيرة للبوطي)

- أحداث حفر الخندق:

روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال:" لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر"

وروي عن أنس رضي الله عنه:" أن الأنصار والمهاجرين كانوا يرتجزون وهم يحفرون الخندق وينقلون التراب على متونهم:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلام ما بقينا أبدا

فيجيبهم النبي ﷺ: "اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة"

"وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعا، وقد تولى المهاجرين الحفر من ناحية حصن راتج في الشرق إلى حصن ذباب، والأنصار من حصن ذباب إلى جبل عبيد في الغرب.

وقد تم الحرف بسرعة رغم الجو البارد والمجاعة التي أصابت المدينة في ذلك الوقت، فكان طعام الجيش قليلا من الشعير يخلط بدهن سنخ (متغير الرائحة لقدمه) ويطبخ فيأكلونه رغم طعمه الكريه ورائحته المنتنة لفرط الجوع" (السيرة للعلي)

* بشارة النبي ﷺ، واستهزاء المنافقين:

"وعندما واجهت الصحابة صخرة عجزوا عن كسرها أثناء الحفر ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات ففتتها وقال إثر الضربة الأولى :الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضربها الثانية، فقال :الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة"

وفي البخاري: عن جابر رضي الله عنه قال: "إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق، فقال :أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيبا أهيل (أو أهيم)"

فاستبشر المؤمنون وقالوا: (هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتثبيتا)، أما المنافقين فاستهزأوا من هذا الوعد فقالوا: (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)، وقد فضحهم الله تعالى في كثير من الآيات، نذكر منها:

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)

(وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا)

(ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا)

(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا)

(قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا)

(قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا)

(أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا)

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا)

"والآيات تشير إلى حالة النفاق وما تولده من القلق في النفوس والجبن في القلوب وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف، فهم يستأذنون الرسول ﷺ للانصراف عن ميدان العمل والقتال بحجج واهية زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدهم وللخوف المسيطر عليهم، بل ويحثون الآخرين على ترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام" (السيرة للعلي)

* حال المسلمين فى حفر الخندق:

التعاون والتآزر:

"فقد لاحظ الصحابي جابر بن عبد الله ما أصاب الرسول ﷺ من الجوع الشديد فطلب من زوجته أن تصنع له طعاما، فذبح معزى له، وطحنت زوجته صاعا من شعير، وصنعت برمة، وذهب جابر فدعا النبي ﷺ إلى الطعام، وساره بكمية الطعام، فصاح النبي بالمسلمين ودعاهم إلى طعام جابر، فحضر منهم ألف، وأسقط في يد جابر وأهله، لكن النبي ﷺ بارك في البرمة فأكل منها الجميع حتى شبعوا وتركوا فيها الكثير، فأكل منه أهل جابر وأهدوا منه" (العلي)

وفي رواية للبخاري: "قلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لا مرأتي:رأيت بالنبي ﷺ شيئا ما كان لي في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت :عندي شعير وعناق.

فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت :طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله

ورجل أو رجلان .قال :كم هو؟ فذكرت له، قال :كثير طيب، فقل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. ثم نادى المهاجرين والأنصار فقال لهم قوموا ..وفي طريق أخرى:

فصاح النبي ﷺ :يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بكم .فلما دخل جابر على امرأته قال :ويحك جاء النبي بالمهاجرين والأنصار ومن معهم .. !قالت :هل سألك كم طعامك؟ قال :نعم، قالت :الله ورسوله أعلم.

ثم جاء النبي ﷺ فقال :ادخلوا ولا تضاغطوا. فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية! قال :كلي هذا واهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة)وفي رواية أخرى (فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوا وانصرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو" (البخاري وفتح الباري)

- تدبير النبي ﷺ للجيش ومحاولته صلى الله عليه تفكيك تحالف قريش ورفض الأنصار:

"وقد رتب النبي ﷺ جيشه، فأسند ظهرهم إلى جبل سلع داخل المدينة، ووجوهم إلى الخندق الذي يفصل بينهم وبين المشركين الذين نزلوا رومة بني الجرف والغابة ونقمى" (السيرة)

بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يا رسول الله ، أمرا تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى (ضيافة) أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا.

- خيانة يهود بني قريظة:

"وقد اشتد الخطب على المسلمين عندما بلغهم أن حلفاءهم يهود بني قريظة قد نكثوا العهد وغدروا بهم، وكانت ديار بني قريظة في العوالي في الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور، فكان موقعهم يمكنهم من إيقاع ضربة بالمسلمين من الخلف. وقد أرسل الرسول ﷺ الزبير بن العوام إلى بني قريظة للاستطلاع، فلما رجع قال له :فداك أبي وأمي، وقال :إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير .(2)ثم أرسل سعد بن معاذ وسعد بن

عبادة فمضيا إلى بني قريظة فوجداها قد نقضت العهد ومزقت الصحيفة إلا بني سعنة فإنهم خرجوا من الحصون إلى المسلمين وفاء بالعهد. وكان ذلك على أثر سفارة حيي بن أخطب النضري الذي أقنع كعب بن أسد القرظي بنقض العهد مع المسلمين مبينا له قوة الأحزاب وأنهم قادرون على القضاء على المسلمين مواعدا له إن رجع الأحزاب عن المدينة أن يدخل معه حصنه، فأعلنت قريظة نقض العهد، وشاع الخبر بين المسلمين، فخافوا على نسائهم وأطفالهم من بني قريظة،

وقد وصف القرآن الكريم البلاء الذي أصاب المسلمين في الآية (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (10)هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)

الخندق وتفاجؤ قريش والأحزاب وحصار المسلمين:

وقد فوجئت قريش برؤية الخندق، واحتاروا في كيفية اقتحامه، إذا كلما هموا بذلك أمطرهم المسلمون بالسهام، واشتد الحصار وطال أربعا وعشرين ليلة، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبال، وقال قتادة إن الحصار دام شهرا، وقال موسى بن عقبة دام عشرين ليلة" العلي

عرفت هذه المرحلة مناوشات بين المسلمين والأحزاب، أدى إلى تأخير صلاة العصر وإخراجها عن وقتها، وقد وقع في ذلك قتال خفيف، إذ "عليا بارز عمرو بن عبد ود فارس قريش وقتله، وأن الزبير قتل نوفل المخزومي وأن الثلاثة الآخرين فروا إلى معسكرهم" (ابن هشام)، وقد استشهد من المسلمين ثمانية، منهم سعد بن معاذ بعد أن أصيب بسهم في كاحله، فمات منه بعد غزوة بني قريظة

- تدخل نعيم بن مسعود الغطفاني لمنع تحالف اليهود مع المشركين وقد "كان مسلما جديدا لا تعرف قريش ويهود والأعراب بإسلامه، فقام بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله ﷺ، فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن يهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها للمسلمين ثمنا لعودتها إلى صلحهم (السيرة)

- النتيجة:

- اندحار الكفار بريح الصبا، عن ابن عباس قال : أتت الصبا الشمال ليلة الأحزاب ، فقال: مري حتى ننصر رسول الله - ﷺ - فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري بالليل ، فكانت الريح التي نصر بها رسول الله - ﷺ- الصبا. (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح).

- بدأ مرحلة جديدة من ظهور قوة المسلمين، واندحار تيار الشرك القرشي، قال صلى الله عليه وسلم: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»

الدلالات والعبر المستفادة:

- الصبر والثبات يأتي بعده نصر الله تعالى
- أهمية نشر التفاؤل في عز الأزمة
- قيمة المؤمن ليست بأقدميته، وإنما بإيجابيته (نصرة نعيم وسلمان...)
- الحرب خدعة
- تعليم الإيثار حتى في الحروب، وسخاء الرجل الفقير جابر بن عبد الله
- تقدم القائد أمام أتباعه في الغرم كفيل بأن يجعله أكثر إقبالا على التضحية من أجله ومن أجل الدعوة
- الاعتزاز بالانتماء للإسلام رغم الضعف والحصار، ورفض إذلال الإسلام (الرد على غطفان)
- الخندق هي المرحلة النهائية لإعداد الدولة الإسلامية وتطهيرها من تيار النفاق والخيانة (مواجهة بني قريظة)
- أحد باب التمكين للمسلمين في شبه الجزيرة، وبداية نهاية قريش وأحلافها، وبداية المرحلة الجديدة من الجهاد.

ما بين الخندق وصلح الحديبية: غزوة بني قريظة:

أسبابها: جاء في الصحيحين أن النبي صلّى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال: «قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم قال: فإلى أين؟ قال: ههنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي صلّى الله عليه وسلم إليهم»

الوقائع: وحاصر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بني قريظة (وهم متحصنون في حصونهم) خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب.

النتائج: تحكيم سعد بن معاذ فيهم، قال له ﷺ: « إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: تقتل مقاتلهم وتسبي ذريتهم، فقال له النبي صلّى الله عليه وسلم: قضيت بحكم الله تعالى» وقتل منهم زعيمهم حيي بن أخطب

صلح الحديبية: دروس وعبر

تاريخه: كان في شهر ذي القعدة، آخر سنة ست للهجرة

أسبابها:

- ✓ منع المسلمين من العمرة
- ✓ شيوع أر مقتل عثمان بن عفان
- ✓ وحين بلغت هذه الشائعة مسامع النبي عليه الصلاة والسلام قال: لا نبرح حتى نناجز القوم»، فبايع الصحابة الرسول ﷺ على القتال، فأنزل الله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (١٨)) [الفتح] .
- ✓ لما بلغ قريشًا أمر بيعة الرضوان، وأدرك زعماؤها تصميم الرسول ﷺ على القتال أوفدوا: بديل بن بن ورقاء ثم عروة بن مسعود ثم جاء سهيل بن عمرو في نفر من رجالهم لمفاوضة النبي ﷺ، ولما رأى رسول الله ﷺ سهيلا قال: «لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل».
- ✓ كان سهيل بن عمرو أحد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحنكة السياسية والدهاء، فهو خطيب ماهر، ذو عقل راجح، ورزانة، وأصالة في الرأي. (أنظر السيرة النبوية، الصلابي)

بنود المعاهدة:

وتم عقد هذه المعاهدة وكانت صياغتها من عشرة بنود جاءت على الشكل التالي:

- ✓ باسمك اللهم.
- ✓ هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.
- ✓ واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.
- ✓ على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجًّا أو معتمرًا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازًا إلى مصر أو إلى الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله.
- ✓ على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه.
- ✓ وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال ((لا إسلال) بكسر الهمزة وفتح اللام أي سرقة خفية (ولا إغلال) أي خيانة)
- ✓ وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم).
- ✓ وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تدخلها بغيرها.

- ✓ وعلى أن هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا.
- ✓ أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين: فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو

الدلالات والعبر:

- ✓ وجوب الوفاء بالمعاهدات ولو خالفت الهوى (أبو جندل)، واستثناء النساء، قال محمد الغزالي: (وقد أبى المسلمون عقيب صلح الحديبية أن يردوا النسوة المهاجرات بدينهن إلى أوليائهن، إما لأنهم فهموا أن المعاهدة خاصة بالرجال فحسب، أو لأنهم خشوا على النساء اللاتي أسلمن، أن يضعفن أمام التعذيب والإهانة، وهن لا يستطعن ضربًا في الأرض، وردًا للكيد كما فعل أبو جندل وأبو بصير وأضرابهما، وأيا كان الأمر فإن احتجاز من أسلم من النساء تم بتعليم القرآن)
- ✓ تأثر الصحابة وحلم رسول الله ﷺ وحكمة المرأة المؤمنة (أم سلمة رضي الله عنها)
- ✓ أهمية القدوة العملية في الدعوة، وليس كل معارض عدو
- ✓ وجوب الرضا بأمر رسول الله ﷺ
- ✓ النصر ليس في السرعة والعجلة وأظهار القدرة والذكاء
- ✓ الإسلام يحرص على حقن الدماء
- ✓ جواز التنازل عن بعض المظاهر من أجل تحقيق المقاصد الكبرى، وجواز تقديم مفسدة أصغر على مفسدة أكبر
- ✓ درء المفاسد أولى من جلب المصالح (مفسدة قتل المؤمنين، غرس شجرة الحقد في قلوب أهل مكة للدعوة الوليدة...)
- ✓ الثقة في الدعوة في بند رد من أسلم والعكس غير صحيح
- ✓ مدة الهدنة، كانت لها اهمية كبرى في بناء الدولة الإسلامية وإتمام بنائها التشريعي والسياسي الداخلي والخارجي، والتفرغ إلى الأعداء الداخليين والمحيطين
- ✓ تبشير المسلمين بعد عقد الصلح بالفتح (نزول سورة الفتح)

المكاسب العاجلة للمسلمين من الصلح:

- ✓ الاعتراف بالدولة الإسلامية الوليدة
- ✓ زيادة هيبتها وإعلاء مكانتها بين الأمم
- ✓ إسقاط هيبة ومكانة قريش بين القبائل بعد المنع
- ✓ فقدان قريش لبعض حلفائها لصالح المسلمين

- ✓ بعد الأمان من حرب قريش، يتفرغ الرسول ﷺ لدعوة باقي القبائل والدول، ومواجهة تيار الخيانة
- ✓ تدمير تجارة قريش من قبل الفئة المؤمنة التي آمنت فرفض الرسول ﷺ استقبالها

المكاسب الآجلة (الاستراتيجية):

- مكن صلح الحديبية النبي ﷺ من تجهيز غزوة مؤتة، فكانت خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية.
- فتح مكة، قال الصلابي: « كان صلح الحديبية سببًا ومقدمة لفتح مكة: يقول ابن القيم: كانت الهدنة مقدمة بين يدي الفتح الأعظم، الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، فكانت هذه الهدنة بابًا له ومفتاحًا ومؤذنًا بين يديه، وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدرًا وشرعًا أن يوطئ لها بين يديها بمقدمات وتوطئات تؤذن لها وتدل عليها»(السيرة النبوية)

فتح مكة، الأسباب والوقائع والنتائج

- الأسباب والدواعي:

- أعانت حلفاءها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين بالخيل والسلاح والرجال، وهاجم بنو بكر وحلفاؤهم قبيلة خزاعة عند ماء يقال له الوتير، وقتلوا أكثر من عشرين من رجالها، ولما لجأت خزاعة إلى الحرم الآمن، قتلهم بكر وهم في الحرم الذي كانت تقدسه العرب في الجاهلية، بدعم من قريش، فقالت بنو خزاعة: «قالت لقائدهم: يا نوفل، إنا قد دخلنا حرم إلهك! فقال نوفل: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم»
- خرج عمرو بن سالم الخزاعي، في أربعين من خزاعة إلى المدينة يشكون ما وقع من اعتداء من بكر حلفاء قريش على خزاعة، فأنشد عمرو أبياتا منها:

حلف أبينا وأبيه الأتلدا +++يا رب إني ناشدٌ محمدًا

ثُمت أسلمنا فلم ننزع يدا +++قد كنتم وُلدًا، وكنا والدًا

وادع عباد الله يأتوا مددا+++فانصر -هداك الله- نصرًا أعتدا

إن سيم خسفا وجهه تربدا+++فيهم رسول الله قد تجردا

إن قريشًا أخلفوك الموعدا+++ في فيلق كالبحر يجري مزبدًا

هم بيتونا بالوتير هجدا+++ وقتلونا ركَّعا وسُجَّدا

فقال النبي ﷺ: «نُصرت يا عمرو بن سالم! لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: "إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب"

- محاولة أبي سفيان استعادة الهدنة بعد خرق قريش وبكر لها:

- رفض قريش التبرؤ من بكر والتخلي عنها، قال الصلابي: «وجاء في رواية: إن رسول الله ﷺ بعد أن سمع وتأكد من الخبر أرسل إلى قريش فقال لهم: «أما بعد، فإنكم إن تبرؤوا من حلف بني بكر، أتُدوا خزاعة، وإلا أوذنكم بحرب» فقال قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف صهر معاوية: إن بني بكر قوم مشائيم، فلا ندى ما قتلوا لنا سبد، ولا لبد، ولا نبرأ من حلفهم فلم يبق على ديننا أحد غيرهم، ولكن نؤذنه بحرب. (أنظر سيرة الصلابي)
- محاولة قريش تمديد الصلح، إذ بعثت أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله ﷺ يعرض حاجته، أعرض عنه النبي ﷺ ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى

يتوسطوا بينه وبين رسول الله، فأبوا جميعًا، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد (أنظر سيرة ابن هشام)

- محفزات الفتح:

- قوة المسلمين داخليا بعد التخلص من أعداء الداخل: يني قينقاع وبني النضير وبني قريضة ويهود خيبر
- انتشار الإسلام في القبائل المجاورة
- قوة الجيش الإسلامي بعد أن تمكن من تطوير إمكانياته وقدراته بعد السرايا التي كان يبعث الرسول ﷺ لمواجهة القوى المضادة في المنطقة
- تطور اقتصاد الدولة الإسلامية بعد فتح خيبر وتحصيل الغنائم الكثيرة، وبعد فقد قريش لكثير من حلفائها، وبعد ازدهار سوق المدينة وانهيار سوق بني قينقاع، وتحول التجارة من اليهود إلى التجار الخبراء القادمين من مكة بعد الهجرة
- انهيار الجبهة الداخلية لقريش بعد فقدهم لحلفائهم من اليهود في المدينة
- تقلص رقعة حلفاء قريش وأتباعهم
- سقوط يهبتهم، ومكانتهم الدينية بعد الأخطاء التي ارتكبوها وخالفوا فيها أعراف العرب وعاداتهم

- وقائع الفتح:

❑ الأخذ بالأسباب الأرضية:

- كتم الرسول ﷺ أمر غزو مكة
- تمويه الرسول ﷺ بإرسال سرية أبي قتادة بن ربعي، قال ابن سعد: (لما همَّ رسول الله ﷺ بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية؛ ولأن تذهب بذلك الأخبار، فمضوا ولم يلقوا جمعًا، فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُشُب فبلغهم أن رسول الله قد توجه إلى مكة، فأخذوا على (بيبين) حتى لقوا النبي ﷺ بالسُّقيا)
- بث الاستخبارات (العيون) لمنع وصول الأخبار إلى قريش، قال الصلابي: (بث ﷺ رجال استخبارات الدولة الإسلامية داخل المدينة وخارجها حتى لا تنتقل أخباره إلى قريش، وأخذ رسول الله ﷺ بالأنقاب، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يطوف

على الأنقاب قيمًا بهم فيقول: لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه.. إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه أو ناحية مكة)

- إعداد جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل.

- الارتباط بالله تعالى وعد التعلق بالأسباب:

التوجه إلى الله تعالى بالدعاء، قال ﷺ: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة»

- خروج الرسول ﷺ وجيشه إلى مكة:

- خرج رسول الله ﷺ قاصدًا مكة في العاشر من رمضان من العام الثامن للهجرة واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وكان عدد الجيش عشرة آلاف فيهم المهاجرون والأنصار الذين لم يتخلف منهم أحد، فسار هو ومن معه إلى مكة يصوم ويصومون، فلما وصل الجيش الكديد (الماء الذي بين قديد وعسفان) أفطر رسول الله ﷺ وأفطر الناس معه، وفي الجحفة لقيه العباس بن عبد المطلب عمه وقد خرج مهاجرًا بعياله، فسر ﷺ. وفي خروج العباس بأهله وأولاده من مكة -وكان بها بمثابة المراسل العسكري أو مدير الاستخبارات هناك- إشارة إلى أن مهمته فيها قد انتهت، وخاصة إذا لاحظنا أن بقاءه في مكة كان بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. (الصلابي)
- المرور بمر الظهران وإيقاد النيران
- إسلام أبي سفيان، وحبس العباس له بمضيق الوادي عند خطم الجبل ومرور الجيش به
- تأمين أهل مكة، من دخل داره فهو آمن ...

- كيفية دخول الرسول ﷺ مكة:

- دخلها من الجهات الأربع

- دخلها متواضعها غير متكبر ولا منتقم، قال محمد الغزالي في وصف دخول النبي ﷺ مكة: "على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله ﷺ على ناقته تتوج هامته عمامة دسماء، ورأسه خفيض من شدة التخشع لله، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجمّ.. إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثا إلى جوف الحرم، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن، إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طويل الفصول: كيف خرج مطاردًا؟ وكيف يعود اليوم منصورًا مؤيدًا؟ وأي كرامة عظمى حفه

الله بها هذا الصباح الميمون؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد لله على راحلته خشوعًا وانحناء..."(أنظر فقه السيرة)

- هدم الأصنام وصور الشرك معلنا انتصار الحق على الباطل والتوحيد على الشرك، قال الصلابي: (ولما نزل رسول الله ﷺ بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء:٨١] (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [سبأ:٤٩] والأصنام تتساقط على وجوهها وإنه لمظهر رائع لنصر الله وعظيم تأييده لرسوله، إذ كان يطعن تلك الآلهة الزائفة المنثورة حول الكعبة بعصا معه، فما يكاد يطعن الواحد منها بعصاه حتى ينكفئ على وجهه أو ينقلب على ظهره جذاذًا، ورأى في الكعبة الصور والتماثيل فأمر بالصور وبالتماثيل فكسرت، وأبى أن يدخل جوف الكعبة حتى أخرجت الصور، وكان فيها صورة يزعمون أنها صورة إبراهيم وإسماعيل وفي يديهما من الأزلام فقال النبي ﷺ: «قاتلهم الله؛ لقد علموا ما استقسما بها قط...»)(السيرة النبوية)
- إرسال سرايا لهدم الأصنام: سرية خالد بن الوليد إلى العزى بنخلة، سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة على ساحل البحر الأحمر، سرية عمرو بن العاص إلى سواع بهذيل المضرية.
- صلاة النبي ﷺ بالكعبة
- النصر ساعة العفو والصفح: نال أهل مكة عفوًا عامًّا رغم أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول ﷺ ودعوته، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول ﷺ فيهم، فقال: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: خيرًا أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ، فقال: (لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ)
- الحزم مع من عزم جرمه، قال الحافظ ابن حجر: (وقد جمعت أسماءهم من متفرقات الأخبار، وهم: عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نقيد -مصغرًا- ومقيس بن حبابة، وهبار بن الأسود، وقينتان كانتا لابن خطل: فرتني وقريبة، وسارة مولاة بني عبد المطلب، وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلال الخزاعي، وذكر الحاكم أن فيمن أهدر دمه كعب بن زهير، ووحشي بن حرب، وهند بنت عتبة) (فتح الباري)
- وقد قتل بعضهم وأسلم بعضهم فعفى عنهم الرسول ﷺ.

- الدروس والعبر:

- حكمة الرسول ﷺ في الإعداد والتورية على العدو، وإشعال النيران قبل الدخول استعراضا للقوة حقنا للدماء
- النصر لا يكون إلا بعد الصبر، والبناء العميق هو أساس كل تغيير أو إصلاح، (مثال هدم الأصنام، والصبر على بنود صلح الحديبية والتسليم للنبي ﷺ)
- صلح الحديبية وأثره في تسريع فتح مكة
- النصر لا يعني التكبر والتجبر، بالتواضع والعدل
- ضرورة الحسم في أمر الفئة الباغية، ولا ينبغي عند البناء التساهل مع عوامل الهدم ومحو أسباب الفساد والباطل
- ضرورة الأخذ بالأسباب
- الحلم والصفح هو منهج الرسول ﷺ
- ضرورة مراعاة المكانة الاعتبارية للناس

- النتيجة: دخول أهل شبه الجزيرة في دين الله أفواجا.

حجة الوداع ووفاة الحبيب المطصفى ﷺ

حجة الوداع:

- تاريخها: العام العاشر للهجرة.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: "يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشرَ اليهود نزلتْ، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وهو قائم بعرفة يوم جمعة" (مُتفق عليه).

- الخطبة: قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أيها الناس، اسمعوا مني أبيّن لكم، فإني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في مَوقفي هذا))

أيها الناس:
إن دماءكم، وأموالَكم، حرامٌ عليكم إلى أن تَلقَوْا ربَّكم، كحرمةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغتُ، اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها.

إن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربًا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث، وإن مآثر الجاهلية - يَعني أعمالها - موضوعة، غيرَ السِّدانة والسقاية، والعَمْد قَوَدٌ – يَعني: القتل العمد قصاص - وشِبْهُ العَمد ما قُتِلَ بالعصا والحَجَر، وفيه مائة بعير، فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس:
إنَّ الشيطان قد يئسَ أن يُعبدَ في أرضكم، ولكنه قد رضي أن يُطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

- أيها الناس:
إنما المؤمنون إخوة، ولا يَحلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عن طيب نفسٍ منه، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فلا ترجعوا بعدي كفَّارًا يَضرب بعضُكم رقابَ بعض، فإني قد تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؛ كتاب الله.

أيها الناس:
إن ربَّكم واحدٌ، وإن أباكم واحد، كلكم لآدمَ، وآدمُ من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عَجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس:

إنَّ الله قد قسم لكلِّ وارثٍ نصيبَه من الميراث، ولا تَجوز لوارثٍ وصيَّةٌ، ولا تَجوز وصيَّة في أكثر من الثُّلثِ، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، من ادَّعى لغير أبيه، أو تَولَّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبلُ الله منه صرفًا ولا عدلاً)

❧ أيها الناس:

إن النسيء زيادةٌ في الكفر، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعةٌ حُرم: ثَلاثٌ متواليات، وواحدٌ فرد، ألا هل بلَّغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس:

إن لنسائكم عليكم حقًّا، ولكم عليهن حقٌّ؛ ألا يُوطِئنَ فُرُشَكم غيرَكم، ولا يُدخِلنَ أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتِينَ بفاحشةٍ، فإذا فعلنَ ذلك، فإنَّ الله أذِنَ لكم أن تَهجروهُنَّ في المضاجع، وتَضربوهُنَّ ضربًا غير مُبَرِّحٍ، فإن انتهينَ وأطعنكم، فعليكم رزقهُنَّ وكِسوتهُنَّ بالمعروف، وإنما النساء عوانٍ عندكم - يَعني أسيرات - ولا يَملكنَ لأنفسهِنَّ شيئًا، أخذتموهُنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجَهنَّ بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنَّ خيرًا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

❧ الدروس والعبر المستفادة:

- ✓ وضع دستور يبني العلاقات، وبيان الأولويات، والتنبيه على خطر الظلم وأسبابه.
- ✓ التأكيد على وجوب الحفاظ على الضروريات الخمس (الدماء، الأموال، الأعراض)
- ✓ التأكيد على وحدة الأمة وتحريم التمييز العرقي والعنصري
- ✓ التأكيد على حرمة الربا وعظم جرمه
- ✓ التأكيد على حفظ الحقوق التي فرضها الله تعالى كالميراث وأنصبته، وتحريم الظلم في ذلك
- ✓ التأكيد على الحفاظ على حقوق النساء

- حماية أبي بكر للأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ، وتدخله بقوة أمام موقف عمر رضي الله عنه.

- وفاة المصطفى والمرحلة الحاسمة:

- ألم المرض برسول الله ﷺ فاشتكى بعد عودته من حجة الوداع بحوالي ثلاثة أشهر، فاشتكى عشرة أيام، ومات يوم الإثنين في الثاني عشر من ربيع أول.

تفاصيل الوفاة:

- **في يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة نزل قول الله عز وجلّ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)...[المائدة: ٣]، وعندما سمعها عمر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنّه ليس بعد الكمال إلا النقصان. وكأنّه استشعر وفاة النبيّ صلوات الله عليه وسلامه. والحقّ أن مشاعر التوديع للحياة والأحياء كانت تنضح بها بعض العبارات التي ترد على لسان الرسول ﷺ، منها ما سبق ذكره في خطبته بالموسم، ومنها ما يقع في أثناء تعليمه الوفود المحتشدة حوله، كقوله عند جمرة العقبة: «خذوا عنّي مناسككم فلعلّي لا أحجّ بعد عامي هذا» (الغزالي)**

- **شكوى النبي ﷺ:**

- ✓ **شعر الرسول ﷺ بوعكة المرض الذي نزل به أواخر صفر من السنة الحادية عشرة، وبدأت الامه صداعا حادا، عاناه في سكون حتى ثقل عليه الوجع وهو في بيت زوجه ميمونة.. فلم يستطع الخروج.**
- ✓ **وأذن له نساؤه أن يمرّض في بيت عائشة؛ لما رأين من ارتياحه إلى خدمتها له.**
- ✓ **فخرج من عند ميمونة بين الفضل بن العباس وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.**
- ✓ **وكان الألم قد أوهى قواه، فلم يستطع مسيرا.**
- ✓ **فانتقل بينهما معصوب الرأس، تخطّ قدماه على الأرض حتى انتهى إلى بيتها .**
- ✓ **واشتدّت وطأة المرض على رسول الله ﷺ، واتّقدت حرارة العلّة في بدنه.**
- ✓ **فطلب أن يأتوه بما يتبرّد به ... ماء كثير!!: «أهريقوا عليّ سبع قرب من ابار شتّى ... » (فقه السيرة للغزالي)**
- ✓ **وعند ما أحسّ الرسول ﷺ بأن سورة الحرّ خفّت عن بدنه، استدعى الفضل ابن عمه العباس فقال: «خذ بيدي يا فضل» . وهو موعوك معصوب الرأس، قال الفضل: فأخذت بيده حتى دخل المسجد، وجلس على المنبر. ثم قال: «ناد في الناس» ، فاجتمعوا إليه. الغزالي**
- ✓ **عن أبي سعيد الخدري: أنّ رسول الله ﷺ جلس يوما على المنبر فقال:**
- ✓ **«إنّ عبدا خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدّنيا ما شاء، وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر، ثم قال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، قال أبو سعيد: فتعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد يخيّر، ويقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا! قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا به.**
- ✓ **فقال رسول الله ﷺ: «إنّ أمنّ النّاس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متّخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام»**

- استخلاف أبي بكر، دلالات وعبر:

- وحين عجز النبيّ ﷺ عن الصلاة بالناس استقدم أبا بكر ليؤمّهم، فخشيت عائشة أن يكره النّاس أباها، ويتشاءمون من طلعته، فقالت: إن أبا بكر رجل رقيق، وإنه متى يقم مقامك لا يطيق، فقال: «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس»، فكرّرت عائشة اعتراضها، فغضب رسول الله ﷺ وقال:«إنّكنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس»، وصلّى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة.
- وهذه الأيام التي تخلّف فيها النبي ﷺ عن أن يؤم المسلمين، كانت من أشدّ الأيام ثقلا عليه، وصحّ عنه ﷺ أنّه قال: «إنّي أوعك كما يوعك الرجلان منكم» الغزالي
- قال ابن عباس: لما مرض النبيّ ﷺ أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس، ثم وجد خفّة فخرج، فلمّا أحسّ به أبو بكر أراد أن ينكص، فأومأ إليه الرسول ﷺ فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره، واستفتح من الاية التي انتهى إليها أبو بكر، فكان أبو بكر يأتمّ بالنبيّ ﷺ والناس يأتمّون بأبي بكر

- **<u>دلالات الاستخلاف:</u>**

- كانت الإمامة في عهد الرسول صلى اله عليه وسلم إمامة دينية وسياسية في نفس الوقت، واستخلاف أبا بكر إيحاء بالتكليف بذلك
- من ارتضاه الرسول ﷺ ليؤم الأمة على دينها، أليس من باب اولى وأحرى أهليته لإمامتها في أمور دنياها.

<u>وصايا الرسول ﷺ قبل الوفاة، دلالات وعبر:</u>

ومع فيح الحمّى وحدّة مسّها لبدنه فقد ظلّ يقظ الذّهن، مهموما بتعاليم الرسالة، حريصا على تذكير الناس بها.

- وكان يخشى أن ترتكس أمته فتتعلّق بالأشخاص (الأضرحة) كما ارتكس أهل الكتاب الأولون، وشدته في إخلاص التوحيد لله هي التي جعلته وهو يعالج سكرات الموت، يرهّب المسلمين من هذا المزلق. الغزالي
- عن عائشة وابن عباس قالا: لمّا نزل رسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه فقال- وهو كذلك-: «لعنة الله على اليهود والنّصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» - يحذّر مثل ما صنعوا-»
- عن أنس بن مالك قال: كانت عامّة وصية رسول الله ﷺ- حين حضره الموت-: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» ، حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه

- **<u>الدلالات:</u>**

- الحرص على ابعاد الصنمية عن الأمة باسم الدين أو غيره
- الحرص على إبعاد الخرافة وبناء الأمة المؤمنة العاقلة
- تنبيهه ﷺ على أهمية الحفاظ على حقوق الله: الصلاة، وحقوق العباد، خصوصا المستضعفين: وما ملكت أيمانكم

<u>الوصية:</u>

فلما كان يوم الخميس- قبل موته ﷺ بأربع ليال- اجتمع عنده جمع من الصحابة، فقال عليه السلام: ائتونى بكتف ودواة أكتب لكم كتابا، لا تضلون بعدى. فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلمة أراد بها الخير، فكانت سببا لامتناعه من ذلك الكتاب، فقال: إن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد غلب عليه الوجع، وعندنا كتاب الله، وحسبنا كتاب الله. وساعده قوم، حتى قالوا: أهجر رسول الله ﷺ؟ وقال آخرون: أجيبوا بالكتف والدواة يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لا تضلون بعده. فساء ذلك رسول الله ﷺ، وأمرهم بالخروج من عنده، فالرزية كل الرزية ما حال بينه وبين ذلك الكتاب. إلا أنه لا شك لو كان من واجبات الدين ولوازم الشريعة لم يثنه عنه كلام عمر ولا غيره.

الرفيق الأعلى، دلالات وعبر:

قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه في تلك الساعة، ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنّون أنّ رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه.

- واطمأنّ أبو بكر لهذا الظنّ، فرجع إلى أهله بالسّنح في ضواحي المدينة.
- قالت عائشة: وعاد رسول الله ﷺ من المسجد فاضطجع في حجري، ودخل علينا رجل من ال أبي بكر في يده سواك أخضر، فنظر رسول الله إلى يده نظرا عرفت منه أنّه يريده، فأخذته فألنته له، ثم أعطيته إياه، فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسواك قبله، ثم وضعه، ووجدت رسول الله يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا نظره قد شخص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنّة»، قلت: خيّرت فاخترت، والذي بعثك بالحق.. وقبض رسول الله ﷺ (الغزالي)

فتنة الوفاة، وتدخل أبي بكر:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: لمَّا توفي رسول الله ﷺ ؛ قام عمر بن الخطَّاب فقال: إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون: أنَّ رسول الله ﷺ قد توفي، وإنَّ رسول الله ما مات، ولكنَّه ذهب إلى ربِّه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلةً، ثمَّ رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعنَّ رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعنَّ أيدي رجالٍ، وأرجلهم زعموا: أنَّ رسول الله ﷺ قد مات.

وأقبل أبو بكر حتَّى نزل على باب المسجد ـ حين بلغه الخبر ـ وعمر يكلِّم الناس، فلم يلتفت إلى شيءٍ حتَّى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجَّى في ناحية البيت، عليه بردةٌ حبرة، فأقبل حتَّى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ثمَّ أكبَّ عليه، فقبَّله، ثمَّ بكى، فقال: بأبي أنت، وأمي ! لا يجمع الله عليك موتتين، أمَّا الموتة التي كتب الله عليك؛ فقد ذقتها، ثمَّ لن تصيبك بعدها موتةٌ أبداً. قال: ثمَّ رد البردة على وجه رسول الله ﷺ ، ثمَّ خرج، وعمر يكلِّم النَّاس، فقال: على رسلك يا عمر ! أنصت، فأبى إلا أن يتكلَّم، فلما راه أبو بكر لا ينصت؛ أقبل على النَّاس، فلمَّا سمع الناس كلامه؛ أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيُّها الناس ! إنَّه من كان يعبد محمَّداً؛ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، ثمَّ تلا قول الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ *} [آل عمران: ١٤٤].

قال أبو هريرة: فوالله لكأنَّ النَّاس لم يعلموا: أنَّ هذه الآية نزلت حتَّى تلاها أبو بكر يومئذٍ، قال: وأخذها النَّاس عن أبي بكرٍ، فإنَّما هي في أفواههم. قال: فقال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ! ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت؛ حتَّى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت: أنَّ رسول الله قد مات.

- **الدلالات:**
- لم لم يحسم الرسول ﷺ في أمر الخليفة، وقد حسم الدين كله والتشريعات كلها؟

- وذلك ليتم الدين من حيث التنزيل في تعليم الأمة كيف تجتهد في حمل هذه الرسالة وتحافظ على استمرارها وخلودها، ولو بغياب الرسول ﷺ
- خطر الحب والزائد على الأمة
- حكمة أبي بكر وقوته في ربط الامة بالمقاصد السامية لهذا الدين، وإخراجها من الارتباط بالفرد إلى الارتباط بالفكرة والعقيدة والمبدإ
- فضيلة عمر في الرجوع إلى الحق

وثيقة المدينة المنورة:

من أهم ما ميز هذه الشريعة الإسلامية هي عدم إقصائها للأقليات والأديان الأخرى، أو فرض الدين الإسلامي على من هم في الدولة الإسلامية، بل هي الدولة التي ارتضاها الله تعالى أن تكون قائدة للأمة، ومن ثم كان لا بد أن تشمل بقعة كبيرة من هذا العالم المتنوع، فاقتضى الأمر أن يجد كل مواطن فيها مكانه وحريته وقدرته على الاختار دون إكراه وأو إخضاع، فجسد الرسول ﷺ ذلك النموذج المنفتح مذ وطئت قدماه المحضن الأول للدعوة الإسلامية (المدينة المنورة)، من خلال وضع دستور يضبط العلاقة مع اليهود والمشركين في المدينة.

قال الشيخ محمد الغزالي: " هو صلة الأمّة بالأجانب عنها الذين لا يدينون بدينها- فإنّ الرسول عليه الصلاة والسلام قد سنّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز، التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصّب والتغالي، والذي يظنّ أنّ الإسلام دين لا يقبل جوار دين اخر، وأنّ المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلّط هو رجل مخطئ بل متحامل جريء!"(فقه السيرة)

قال ابن القيم: "ووادع رسول الله - ﷺ - مَن بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وبادَرَ حَبْرُهم وعالمُهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام، وأبى عامتُهم إلا الكفر.

وكانوا ثلاث قبائل: بنو قَينُقاع، وبنو النَّضِير، وبنو قُريظة؛ وحاربتْه الثلاثة، فمنَّ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقَتل بني قريظة وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورةُ الأحزاب في بني قريظة"(زاد المعاد)

يقول المستشرق الروماني جيورجيو: "حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بندا، كلها من رأي رسول الله. خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين، وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دُون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أى عام ٦٢٣م. ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده"(نظرة جديدة في سيرة رسول الله)

سياق ورود الوثيقة:

الهجرة وبناء مجتمع وحد لا يطغى فيه جانب على جانب ولا فئة على فئة أخرى

بناء المجتمع على أساس المواطنة المستوعبة للتعددية الدينية، وبيان أن الدولة الإسلامية تسع المسلمين وغيرهم

وقت إبرامها: كان إبرام هذ الوثيقة عند المحققين من علماء السيرة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وقد ذهب أكرم ضياء العمري إلى أن:" أن وثيقة موادعة اليهود كانت عند قدومه ﷺ المدينة قبل غزوة بدر" (السيرة النبوية)

وهي سابقة على معاهدة المسلمين (مهاجرين وأنصار) بسنة تقريبا، وفي ذلك دلالة على حرص الإسلام على طمأنة اليهود.

نص الوثيقة:

" وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

- وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

- وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

- وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

- وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

- وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

- وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

- وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم.

- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

- وإن بطانة يهود كأنفسهم.

- وإنه لا يخرج منهم أحداً إلا بإذن محمد

- وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك بنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبرِّ هذا.

- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وإنه لا يأثم أمرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم.

- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ...

- وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ" (السيرة النبوية لأكرم ضياء العمري، بتصرف)

الدلالات والعبر من الوثيقة:

- حرص الإسلام على حماية الأقليات في المجتمع المسلم، واعتباره مع المسلمين أمة واحدة بناء على مبدإ المواطنة.

- تكفل الإسلام بحماية الخصوصيات الدينية لغير المسلمين، وحماية حرياتهم الدينية، قال اشيخ محمد الغزالي: " وقال: " عند ما جاء النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، وجد بها يهودا توطّنوا، ومشركين مستقرين، فلم يتّجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل- عن طيب خاطر- وجود

اليهود والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهداهم معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه" (فقه السيرة)

- تحملهم واجبات الحفاظ على الدولة والإسهام في بنائها والحفاظ عليها تحقيقا لمواطنتهم الكاملة
- بيان حقوقهم في المجتمع المسلم وعدم تحميلهم تكليفات أكثر من المسلمين
- تحملهم عاقبة نقض هذه الوثيقة

وثيقة نصارى نجران:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: "أنّ لنصارى نجران جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم، وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهداهم، وعشيرتهم وتبعهم.

وألايغيّروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.

وليس عليهم ريبة ولا دم جاهلية، ولا يحشرون- يكلفون- بجهاد، ولا يعشّرون- يكلفون بزكاة- ولا يطأ أرضهم جيش.

ومن سأل منهم حقا فبينهم النّصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم اخر.

وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم" .

وشهد على هذه المعاهدة أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف، والأقرع بن حابس، والمغيرة بن شعبة- تاريخ المعاهدة: بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وفي عام الوفود. (أنظر فقه السيرة لمحمد الغزالي)

- تاريخها: وقعت بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة

- **سياق كتابتها:** زيارة وفد نصارى نجران للنبي ﷺ ، " فرأى المسلمون- وهم في حرب مع دولة الروم- أن يحدّدوا موقفهم مع نصارى الجنوب، خصوصا وأنّ الروم كانوا يغدقون العطايا على مبشريهم هناك، ويبنون لهم الكنائس، ويبسطون عليهم الكرامات، ويشجّعونهم على المضي في تنصير القبائل المتوطنة بهذه الأرجاء.

فأرسل النبيّ ﷺ إلى أهل (نجران) كتابا جاء فيه: «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ...

وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد اذنتكم بحرب، والسّلام"(فقه السيرة للغزالي)

فجادلوا النبي ﷺ في عيسى الذين كانوا يؤلهونه، فلما أصروا على موقفهم رغم الحجج النبوية والمجادلة الحكيمة من رسول الله ﷺ، فنزلت آيات المباهلة، قال تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ (٦١)) (ال عمران: ٥٩- ٦١)

فما خشي القوم على أنفسهم من الهلاك بعد المباهلة، فوضوا خطيبهم شرحبيل بن وداعة، فترك القرار فيهم لرسول الله ﷺ، فتراجع النبي ﷺ عن المباهلة، " ورجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم، وعقد معهم صلحا، أصبحوا بمقتضاه من رعايا الدولة الإسلامية" (فقه السيرة النبوية للغزالي)

- دلالتها وعبرها:

- ✓ حرص الدولة الإسلامية الوليدة على استيعاب جميع الشعوب والأديان في ثناياها دون إكراه أو إقصاء
- ✓ مجادلة النبي ﷺ للقوم بالتي هي أحسن قصد الإقناع في الوقت الذي كان يملك القوة لإخضاعم
- ✓ حرص الرسول ﷺ على العدل في النصارى بعد أن فوض إليه شرحبيل اتخاذ القرار في شأنهم.
- ✓ استقبالهم في المسجد يؤكد مكانة المسجد في الدولة الإسلامية وفي إبرام قضاياها الحساسة
- ✓ عدم فرض تشريع الإسلام على القوم، بل إقرارهم على شرعهم، وفرض الجزية عليه بمبلغ يسير دليل على احترام دينهم مقابل فرض الزكاة على المسلمين.

- طمأنتهم من الخوف من أي ظلم بسبب عقيدة أو عرق، بتأمينهم على أنفسهم وأموالهم ودينهم.

النتائج:

إسلام القوم واتباع رسالة الإسلام، قال الغزالي: " وبذلك قطع الإسلام الصلة بين أولئك العرب المتنصرين وبين دولة الروم التي يشتبك معها في الحرب، بعد ما ضمن الحرية الدينية لمن سالموه وكفّوا عنه"(فقه السيرة)